الجامعة اللبنانية
كلية الأداب والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ
العمادة



رسالة أعدت لنيل درجة الماستر
في التاريخ الحديث والمعاصر

تطور الحياة الإجتماعية والصحية والمصرفية
في مدينة بيروت
(1918-1887)

إعداد الطالب
زكريا الغول

إشراف
الدكتورعلي حلاق
(أستاذ)

عضوا لجنة المناقشة

الدكتورة سوزي حمود
(أستاذ)

الدكتور داود قندولي
(أستاذ مساعد)

بيروت
العام الجامعي 2019/2018

1: مقدمة

لطالما شكلت مدينة بيروت مركز الثقل في الإقتصاد اللبناني، حتى أصبح يطلق عليها في الفترة ما قبل الحرب اللبنانية بمصرف العرب ومستشفاهم، تلك المدينة الراسخة في الجذور منذ القدم، من أيام أول مدرسة للحقوق التي اوجدها الرومان، مرورا" بأحداث كبرى عصفت بتلك المدينة التي شهدت حربين عالميتين وقبلها من غزوات، بقيت مشرقة مطلة على إمتداد شرق البحر المتوسط، وقد قال فيها القيصر الألماني ويلهلم الثاني خلال زيارته لها في العام 1898: "انها الجوهرة في تاج السلطنة ".

عن نشأة ولاية بيروت قيل أن أبناء بيروت كانوا قد تقدموا بإلتماس الى السلطان عبد الحميد الثاني للإنفصال عن ولاية سورية وإنشاء ولاية مستقلة تكون مدينة بيروت مركزا" لها، وقد إستجاب السلطان عبد الحميد لذلك وأعلنت ولاية بيروت، بمقتضى الإرادة السلطانية بتاريخ 25 كانون الأول من العام 1887، وضمت المنطقة الساحلية الممتدة من اللاذقية حتى شمال يافا، تحدها من الشرق ولايتي حلب ودمشق، كما ضمت متصرفية جبل لبنان وخمسة سناجق هي: سنجق بيروت – سنجق طرابس الشام – سنجق عكا – سنجق اللاذقية – سنجق نابلس.

كما قيل أيضا" أنه كان لفرنسا دور في تشجيع أعيان بيروت وتجارها على المطالبة بجعل مدينة بيروت مركزا" لولاية سوريا بدلا" من دمشق.

وكان يتم تعيين ولاة أتراك على ولاية بيروت، يكون تابعاً لوزارة الداخلية في الدولة العثمانية، أما مدينة بيروت نفسها، وهي مركز الولاية، فكان يعين عليها متصرف تركي أغلب الأحيان.

بداية التطور في بيروت كان خلال فترة الحكم المصري لها عبر إبراهيم باشا، كما أسهمت أحداث العام 1860 في جبل لبنان في إحداث تغيير ديمغرافي في بيروت، نتيجة إنتقال الرساميل المسيحية للإقامة فيها، ليأتي إعلان ولاية بيروت وجعل مدينة بيروت مركزا" لها بمثابة إنطلاقة المدينة نحو الحداثة.

إستفادت مدينة بيروت من كونها مركز الولاية، فتطورت المشاريع القائمة لتحسين وتطوير المدينة، وتمثل ذلك بتطور عدد سكانها وإزديادهم كما حدث تطورفي الحياة الصحية، من إنشاء مستشفيات ومنها المستشفى الفرنسي والحميدي والمستشفى الأمريكي ومستشفى ربيز، وتأسيس المصارف الأجنبية والمحلية كما تطور دور بلدية بيروت، وتم إنشاء الشركة العثمانية لمرفأ بيروت، وإنارة مدينة بيروت بالغاز، كما تم إفتتاح سكة حديد بيروت – دمشق، وتم أيضا" تأسيس غرفة التجارة والصناعة في مدينة بيروت و بناء برج الساعة وتدشين المحطة البحرية وتوسيع الطرقات ورصفها، الى غيرها من الأمور الإنمائية كتسيير الترامواي الكهربائي ثم إنارة بيروت بالكهرباء، كما وحدث تطور في الحياة التعليمية.

وبنهاية القرن التاسع عشر أصبحت بيروت، أكثر أجزاء السلطنة العثمانية تقدما"، وتحولت الى مركز تجاري مهم وبخاصة بعد تطور وسائل النقل بين أوروبا والمشرق العربي.

ومن نتائج الفورة تلك بدأت الرساميل الفرنسية تتجه نحو بلاد الشام، وقامت تلك الرساميل بربط بيروت بمتصرفية جبل لبنان وبالمدن الساحلية بشبكة من المواصلات، تسهيلا" لتجارة الحرير وتأمين وصول الحرير الخام الى بيروت.

ومن المهم الإشارة الى أن الصراع الدولي الذي كان سائدا" وقتها بين القوى العظمى، قد يكون له بعض المساهمة في التطور الذي أصاب مدينة بيروت، نتيجة حجم التدخلات الأجنبية من فرنسية وبريطانية وحتى ألمانية والذي ترجم الى إستثمارات مصرفية وتجارية.

كما ان الموقع المميز لمدينة بيروت وبخاصة لجهة وقوعها على واجهة بحرية بموازاة الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط، جعل من مرفأ بيروت مصدرا" أساسيا" لحركة التجارة الدولية وأكسب المدينة أهمية خاصة، لكن من ناحية أخرى اصبحت المدينة محط أطماع الدول الإستعمارية ومركزا" للصراع الدولي .

ولا شك أن حركة الرساميل المحلية والدولية ساهمت في تطور سريع لمدينة بيروت، مهد لها الطريق لتحتل صدارة المدن العربية لناحية التطور، ما جعلها قبلة التجار والرساميل، كما جعلها فيما بعد المدينة المؤهلة لتبوأ لقب عاصمة دولة لبنان الكبير ومن ثم عاصمة الجمهورية اللبنانية فيما بعد .

2: أهمية الموضوع وأسباب إختياره:

تظهر أهمية الموضوع في انه يلقي الضوء على التطور الذي شهدته مدينة بيروت من النواحي الإجتماعية والصحية والمصرفية، وبخاصة بعد إعلان ولاية بيروت، كما يبين النشاط الإقتصادي والصحي والإجتماعي الذي قامت به المدينة ما جعلها تتبوأ مركز الصدارة بين المدن العربية للحوض الشرقي للمتوسط وهيأ لها أن تكون المركز المالي والتجاري بعد نكبة عام 1948، وإنتقال النشاط التجاري من مرفأ حيفا الى مرفأ بيروت .

إن أهمية الدراسة تكمن، في أن النظام المصرفي في لبنان يشكل نقطة الثقل في إقتصاده، كما نظامه الصحي، وتعتبر بيروت مركز النشاط المصرفي والصحي في لبنان، الأمر الذي يقتضي وضع دراسة عن بداية التطور الصحي والإقتصادي والمصرفي كما الإجتماعي الذي أصاب المدينة منذ إعتمادها مركزا" لولاية بيروت، الأمر الذي يمهد الطريق الى إعداد دراسات أكثر تخصصا".

وتبدو أهمية هذه الدراسة ايضا" في أنها ستفتح المجال لدراسة تأثير الصراع الدولي القائم وقتها في تطور مدينة بيروت، ومن الممكن أن تفتح المجال أيضا" لدراسات أكثر تعمقا" لفهم الأهداف الفرنسية من وراء إختيار مدينة بيروت لكي تكون قبلة للمصالح الفرنسية في المنطقة.

إن ما دفعني لإختيار هذا الموضوع هو دافع شخصي نابع من إنتمائي لهذه المدينة ومحاولة لإستيضاح مراحل تطور المدينة وكيفية حصوله، والبحث في أسباب إختيار بيروت لتصبح هذا المركز التجاري المهم ومن ثم عاصمة لدولة لبنان الكبير ومن بعدها عاصمة للجهورية اللبنانية.

كما دفعني لإختيار الموضوع أيضا" هو أن المدينة لم تأخذ حقها بالإهتمام ممن كتبوا تاريخ لبنان قبل دخول الحلفاء عام 1918، كما ان مجمل ما كتب عن بيروت لم يتطرق بالتفصيل الى كيفية حصول التطور في تلك المرحلة، إنما بمجمله كان سردا" لوقائع وإستنادا" الى وثائق لم تطرق الى لب الموضوع، وهو الكيفية والسببية التي تم بها ذلك التطور، فكثيرة هي الكتب والأبحاث التي تحدثت وتطرقت لمدينة بيروت وتطورها، إلا أنها لم تتطرق بشكل واضح الى مسألة التطور الذي أصاب المدينة من النواحي الإجتماعية والصحية والمصرفية، خاصة أن تلك المحاور الثلاثة تشكل نواة تكوين مجتمع إقتصادي تجاري وهو أساس التحول الى مجتمع مدني متطور.

أما الأسباب الموضوعية للدراسة فهي تزويد المكتبات بدراسة متخصصة عن التطور الذي أصاب بيروت لناحية الجوانب الإجتماعية والصحية والمصرفية، وبخاصة أن مدينة بيروت لا زالت حتى تاريخه أهم مدينة على الحوض الشرقي للمتوسط.

3: الإشكالية:

من خلال مراجعة العديد من المصادر التي تطرقت الى مسألة إنشاء ولاية بيروت، والتطور السريع الذي حدث إن لناحية الحياة الإجتماعية والصحية والمصرفية في مدينة بيروت كما الحياة السياسية والتطور الديمغرافي.

تطرح الإشكالية الأتية: هل كان إنشاء ولاية بيروت في العام 1887، المدخل لتطور المدينة بسرعة مذهلة للتحول خلال فترة وجيزة الى واحدة من أهم مدن شرق المتوسط ؟

هل كان للعلاقة المميزة القائمة بين قناصل الدول الأوروبية والمسيحيين في بيروت دورا" في التطور الحاصل ؟

هل كان لبروز طبقة متطورة وطموحة من وجهاء مدينة بيروت المسلمين، دور في تطور بيروت وتحولها الى مدينة بعدما كانت شبه قرية ؟

هل أدى أهل بيروت دورا" في تطور المدينة بعد إعلان الولاية وإعتمادها مركز لتلك الولاية ؟

هل كانت مطالبة أهل بيروت بجعلها ولاية، هي السبب في قرار السلطان عبد الحميد إنشاء ولاية بيروت ؟ أم هنالك عوامل أخرى ؟

إلى أي مدى أدى الموقع الجغرافي لمدينة بيروت دورا" في جعلها مركزا" للولاية ؟، وهل ساهم موقعها الجغرافي في تطورها وتحولها من النواحي الإقتصادية والإجتماعية ؟

4: الفرضيات

بمراجعة لكثير من المصادر التي تناولت تلك الحقبة الهامة من تاريخ بيروت، يمكن ان تفضي الدراسة الى الأتي:

- الفرضية الأولى: إن إنشاء ولاية بيروت بمقتضى قرار السلطان عبد الحميد، ساهم في تطور المدينة بعد أن اصبحت مركز الولاية، مما ساهم في نهضتها على كافة المستويات.
- الفرضية الثانية: كان لإنتقال المسيحيين الى بيروت، وبخاصة العائلات الكاثوليكية النخبوية أثر كبير بحكم علاقتهم بدول الغرب تجاريا" وسياسيا" عبر قناصلهم دور في نهضة بيروت.
- الفرضية الثالثة: أدى بروز طبقة طموحة ومتطورة من وجهاء المدن من المسلمين، الى ظهور أفكار جديدة ومن ثم الى تغيير في في الفكر تجاه المرأة ونشوء طبقة رأسمالية مهد لاحقا" لإزدهار المدينة.
- الفرضية الرابعة: كان لأهل بيروت دور بالغ التأثير في تطور المدينة بعد إعتمادها مركزا" لولاية بيروت.
- الفرضية الخامسة: ساهم الموقع الجغرافي لمدينة بيروت في سرعة التحول والتطور في مختلف نواحي الحياة الإقتصادية والإجتماعية والديمغرافية.

5: المنهجية المعتمدة

بما ان موضوع الدراسة هو الحديث عن تطور الحياة الإجتماعية والصحية والمصرفية في مدينة بيروت بين العامين (1887-1918)، لذا سأعتمد المنهج الإستقرائي التحليلي سيرا" بالأحداث وصولا" الى النتائج، وذلك من خلال البحث عن كيفية حدوث التطور في مدينة بيروت بعد

إعتمادها مركزا" لولاية بيروت، ومعرفة الأسباب التي أدت الى ذلك التطور، وذلك بجمع التفاصيل ومقاربة المعلومات وتحليل الجداول وصولا" الى إستنتاج الوقائع والمعلومات، كل ذلك للوصول الى إجابات دقيقة للإشكالية التي هي اساس البحث.

6: نقد المصادر والمراجع:

إن أي دراسة لكي تكون سليمة، يقتضي أن تكون مرتكزة على عدد من المصادر والمراجع العربية والأجنبية، وبما أن موضوع تطور الحياة الإجتماعية والصحية والمصرفية في مدينة بيروت بين العامين (1887-1918)، هو موضوع تاريخي معاصر فسوف اعتمد على عديد الكتب التي تناولت بيروت، كما سأحاول جاهدا" الحصول على وثائق عثمانية تتعلق بتلك الحقبة نظرا" لما لها من أهمية في الدراسة، ومن المصادر والمراجع التي سأعتمد عليها:

- ولاية بيروت الذي وضعه رفيق التميمي ومحمد بهجت في جزئين وصدر عن طبعة الإقبال في بيروت عام 1917 م، ويمكن الإستعانة به في كتابة تمهيد البحث وفيه معلومات وافية عن ولاية بيروت جغرافيا" وديمغرافيا".
- كتاب بيروت المحروسة في العهد العثماني للدكتور حسان حلاق الذي صدر في بيروت عن الدار الجامعية عام 1987، وفيه بعض المعلومات التي تدعم البحث.
- كتاب بيروت المحروسة – بيروت الإنسان والحضارة والتراث الذي صدر عن مؤسسة الحريري في بيروت عام 2002، ويحتوي هذا الكتاب على بعض المعلومات التي تفيد البحث.
- كتاب تاريخ بيروت منذ أقدم العصور حتى القرن العشرين للدكتور عصام شبارو، الصادر عن دار مصباح الفكر في بيروت عام 1986 م، وهو تاريخ موجز لبيروت من العصر الكنعاني الفينيقي حتى نهاية ولاية بيروت عام 1918 م، ما يعني أن الفصل الخاص بولاية بيروت (1887-1918) فيه بعض المعلومات التي تفيد البحث.
- دليل بيروت – تقويم الإقبال لسنة 1327ه / 1909 م لعبد الباسط الأنسي، وهو من المصادر المهمة لهذه الدراسة، كون هذا التقويم يشكل دليلا" على مستوى التقدم الذي عرفته بيروت منذ قيام ولاية بيروت سنة 1887 م حتى سنة 1909 م التي تصادف مرور واحد وعشرين عاما" على صدور دليل بيروت لعام 1887 م الذي وضعه أمين حوري والذي كان بمثابة

أول دليل لمدينة بيروت ينشر على غرار ما كان يحصل في الدول الأوروبية الغربية، وفي دليل بيروت لعبد الباسط الأنسي، قسم خاص بنشأة ولاية بيروت سنة 1887 م، وجعلها ولاية من الدرجة الأولى، وفيه ذكر للمستشفى الحميدي ومحكمة التجارة والمكتب الإعدادي، وكذلك الجمعيات، كما ذكر المؤلف أسماء عشرين طبيبا" وست عشرة صيدلية، وسبع مستشفيات. ونظرا" الى التطور الإقتصادي الحاصل في بيروت إزداد عدد المصارف حيث بلغ إثني وعشرين مصرفا". لذلك فإن الإستعانة بمثل هذا المصدر يدعم الدراسة.

7: مخطط الرسالة:

تم تقسيم الدراسة الى ثلاثة فصول بالإضافة الى مقدمة وتمهيد وخاتمة كالأتي:

الفصل الأول: تطور الحياة الإجتماعية في مدينة بيروت

في هذا الفصل بحثت عن التغيير الديمغرافي الذي حصل بعد إعتماد مدينة بيروت مركزا" للولاية، ونشوء الطبقة الرأسمالية، وبدء تحرر المرأة البيروتية، كما تطرقت الى التمسك بالعادات والتقاليد الشرقية لدى أهالي بيروت رغم التطور نتيجة الغزو الأجنبي الثقافي والتجاري، كما تطرقت الى موضوع زرع بذور الإنقسام الطائفي من قبل الأوروبيين والعثمانيين لدى أهالي بيروت، كما تناولت في هذا الفصل أيضا" موضوع دور الجمعيات الخيرية والإجتماعية في تطور مدينة بيروت، وبخاصة دور جمعية بيروت الإصلاحية.

الفصل الثاني: تطور الحياة الصحية

تناولت في هذا الفصل موضوع إنشاء المستشفيات ومنها المستشفى الفرنسي والمستشفى الحميدي والمستشفى الأميريكي كما مستشفى ربيز، كما بحثت أيضا" دور الأطباء والصيادلة، ودور القطاع الصحي في إزدهار مدينة بيروت وتطورها وتطور القطاع الصحي فيها.

الفصل الثالث: المشاريع المصرفية:

عالجت في هذا الفصل موضوع تأسيس المصارف الأجنبية من فرع البنك العثماني وفرع بنك دوتشي – بالستين وفرع البنك الإنكليزي – الفلسطيني، كما المصارف المحلية، والدور الذي لعبه التجار مع الأوروبيين عبر بيروت في إنشاء تلك المصارف.

8: تصميم الدراسة:

تطور الحياة الإجتماعية والصحية والمصرفية

في مدينة بيروت

(1918 -1887)

المقدمة

تمهيد: إنشاء ولاية بيروت ومركزها مدينة بيروت

(25 كانون الأول 1887)

الفصل الأول: تطور الحياة الإجتماعية في مدينة بيروت

1- التغيير الديمغرافي
2- نشوء الطبقة الرأسمالية
3- التمسك بالعادات والتقاليد الشرقية وبدء تحرر المرأة البيروتية
4- زرع بذور الإنقسام الطائفي
5- جمعية الإصلاح العام في بيروت
6- إستنتاجات

الفصل الثاني: تطور الحياة الصحية

1- إنشاء المستفيات

(أ) المستشفى الفرنسي (1885)
(ب) المستشفى الحميدي (1907)
(ت) المستشفى الأمريكي(1908)
(ث) مستشفى ربيز(1908)
(ج) مستشفى البروسي
(ح) مستشفى اليسوعيين
(خ) مستشفى الروم

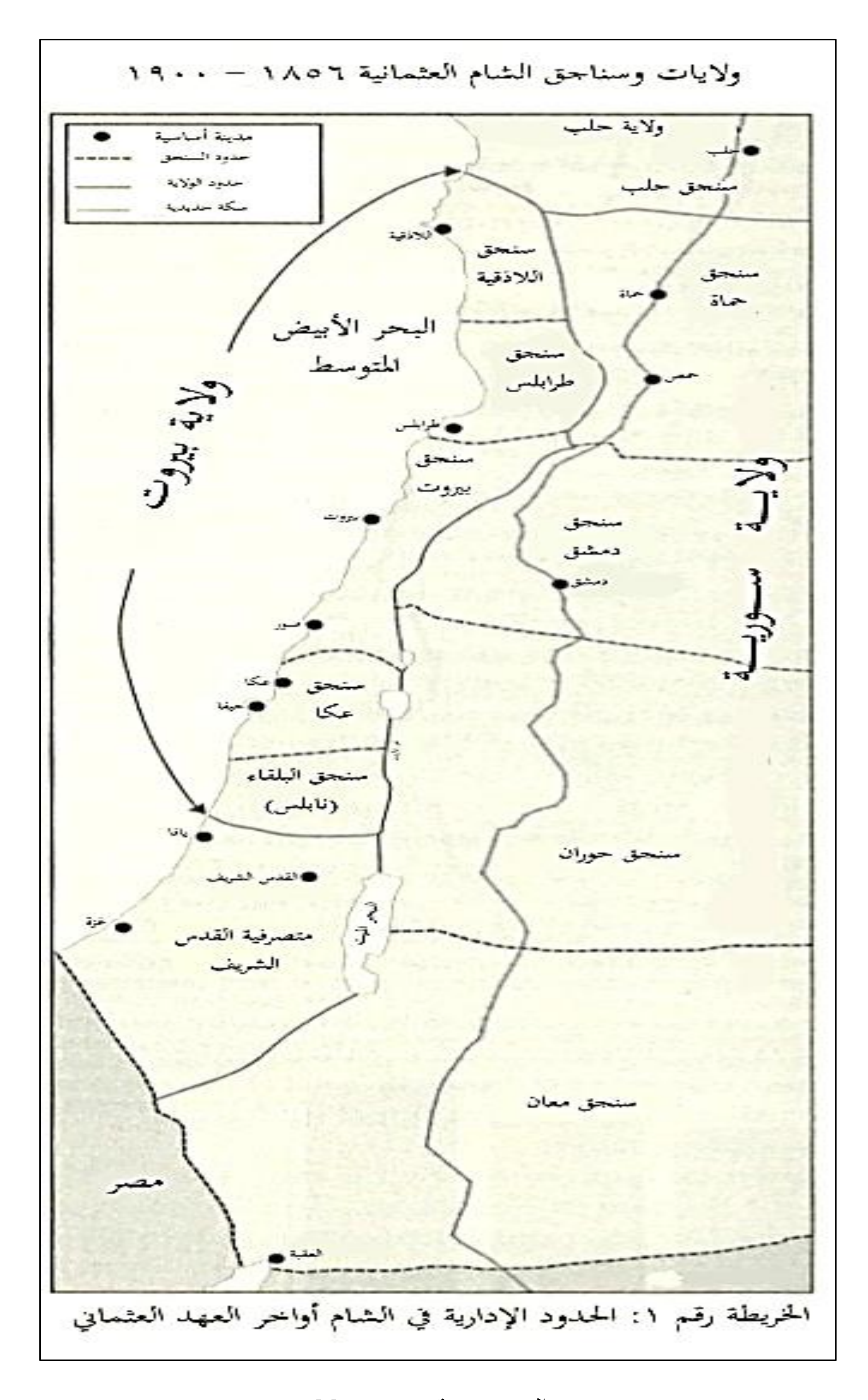
2- الأطباء والصيادلة
3- إنتشار الأوبئة والأمراض (الكوليرا والتيفوئيد).
4- إستنتاجات

الفصل الثالث: المشاريع المصرفية

1- تأسيس المصارف الأجنبية والمحلية الى جانب فرع البنك العثماني
(أ) فرع بنك كريدي- ليونيه
(ب) فرع بنك دوتشي – بالستين(1889)
(ت) فرع البنك الإنكليزي –الفلسطيني (1903)
(ث) إنتقال فرع البنك السلطاني العثماني الى ساحة البرج ثم الى محلة مرفأ بيروت
(ج)المصارف المحلية

2- توظيف رؤوس الأموال
(أ) التوظيف الصافي البسيط
(ب) التوظيف بالتعاضد
3- إستنتاجات

- الخاتمة
- لائحة بأسماء المصادر والمراجع
- الفهارس



الخريطة رقم ١: الحدود الإدارية في الشام أواخر العهد العثماني

المصدر موقع old Beirut

تمهيد

تقع مدينـة بيـروت علـى السـاحل الشـرقي للبحـر الأبـيض المتوسـط، تبلـغ مسـاحتها 67 كيلومترا مربعا، وترتفع عن سطح البحر 34 مترا فقط ، إن موقعها المميـز لجهـة وقوعهـا علـى واجهة بحرية بموازاة الشاطئ الشرقي للبحر المتوسط ، جعل من مرفأ بيروت مصدرا" أساسيا" لحركة التجارة الدولية وأكسب المدينة أهمية خاصة ، لكن من ناحية أخرى اصبحت المدينة محط أطماع الدول الإستعمارية ومركزا" للصراع الدولي .

بداية التطور في بيروت كان خلال فترة الحكم المصري لها عبر إبراهيم باشـا فـي العـام 1832 حين قام بهدم السور وأباح بناء المساكن خارجه، فعاد لبيروت دورها المهم مرة أخـرى ، بعد سنوات من الصراع بين الشهابيين ووالي عكا حينها أحمد باشـا الجـزار الـذي دفعـت بيـروت ثمنا" باهظا" له .

وبقيت بيروت تحت الحكم المصري من سنة 1832حتى 1841وهي المـدة التـي بقيـت فيها بلاد الشام في حوزة إبراهيم باشا. وفي هذه الفترة عرفـت هـذه المدينـة تطـوراً أساسـيًا شـمل سائر مرافقها العُمرانيّة والإداريّة، وذلك بسبب امتداد رقعتها إلى خارج السور الذي أمر إبـراهيم باشا بهدمه وسمح للناس ببناء مساكنهم في الضواحي التي أصـبحت فيمـا بعـد جـزءاً مـن المدينـة نفسها، كما ازدهرت أحوالها التجاريّة بسبب اختيارها مركزاً للحجر الصحي، الأمـر الـذي أجبـر جميع القادمين إلى الشام على الخضوع له للتأكـد مـن سـلامتهم الصـحيّة وخلـوهم مـن الأمـراض المعديّة،و في العام 1841تمكنت الدولة العُثمانيّة من استعادة سـيطرتها علـى بـلاد الشـام، فقـاموا بنقل كرسي الولاية إليها وعيّنوا عليها والياً من قبلهم اسمه سليم باشا. وفي عهد هذا الـوالي بـدأت بيروت بالازدهار فازدادت عماراً وسكاناً، وانتقلـت إليهـا تجـارة الإفـرنج، وعظـم شـأنها، وكثـر مجيء المراكب الأوروبيّة إليها، وخلال أحداث 1860بين الدروز والمسيحيين، لجأ إليها الكثير من الموارنة

وفي العام 1864م، صدر قانون تشكيل الولايات، وأصبحت بلاد الشام تضم ولايتين فقط هما ولاية سوريا وولاية حلب، واختفت ولاية صـيدا .وألحقـت مـدن بيـروت وصـيدا وطـرابلس بولاية سوريا، في حين قامت متصرفية جبل لبنان الذي نال استقلاله الإداري. وفي سنة 1888م، فصلت بيروت عن ولاية سوريا وأنشئت ولاية بيروت ومركزها مدينـة بيـروت .واسـتمرت هـذه الولاية 30 سنة، شهدت فيها مدينة بيروت سلسلة من الأحداث السياسية والعسـكرية والإقتصـادية والثقافية والعمرانية.

استفادت مدينة بيروت من كونها مركز ولاية بيروت، فقامت المشاريع لتحسينها وتطويرها ، بدءاً بالمرافئ والشوارع والأسواق وتسيير الترامواي الكهربائي، مروراً بالسكة الحديد لربطها بدمشق .

خلال منتصف القرن التاسع عشر وقد إزداد عدد سكان مدينة بيروت وتوسعت لتتخطى أسوارها هذا التوسع فقامت الإرساليات الغربية بدور بارز في تطوير المدينة .

أصبحت مدينة بيروت مركز الثقافة والفكر العربي ومركز تنوع عالمي بوجود الأوروبيين والأميركيين، فقد إنشأت المدارس والجامعات ومن أشهرها الجامعة الأميريكية الأميركية في بيروت، واشتهرت فيها صناعات وتجارة الحرير، كما أنشأ الفرنسيون مرفأ بحريا عصريا في سنة 1894، ومدوا سكك الحديد بين بيروت ودمشق وحلب وسرعان ما أصبح للفرنسيين تأثير أكبر من أي دولة غربية أخرى .

بنهاية الحرب العالمية الأولى ، وبعد دخول القوات الفرنسية الى مدينة بيروت ،تكون قد إنتهت ولاية بيروت العثمانية، التي إستمرت حوالي ثلاثين عاما" حافلة بالأحداث السياسية والعسكرية والإقتصادية والثقافية والعمرانية، وأصبحت بيروت بعدها كمدينة عاصمة للدولة التي ستسمى فيما بعد بدولة لبنان الكبير.

ومن منطلق هذا التطور الذي أصاب مدينة بيروت بعد إعتمادها مركزا" لولاية بيروت ، جاء هذا البحث ليلقي الضوء على ذلك التطور من الناحية الإجتماعية والصحية والمصرفية ، وقد تم تقسيم البحث الى ثلاث فصول وفقا" للتوزيع التالي :

الفصل الأول: تطور الحياة الإجتماعية في مدينة بيروت

في هذا الفصل بحثت عن التغيير الديمغرافي الذي حصل بعد إعتماد مدينة بيروت مركزا" للولاية، ونشوء الطبقة الرأسمالية، وبدء تحرر المرأة البيروتية، كما تطرقت الى التمسك بالعادات والتقاليد الشرقية لدى أهالي بيروت رغم التطور نتيجة الغزو الأجنبي الثقافي والتجاري، كما تطرقت الى موضوع زرع بذور الإنقسام الطائفي من قبل الأوروبيين والعثمانيين لدى أهالي بيروت، كما تناولت في هذا الفصل أيضا" موضوع دور الجمعيات الخيرية والإجتماعية في تطور مدينة بيروت، وبخاصة دور جمعية بيروت الإصلاحية.

الفصل الثاني: تطور الحياة الصحية

تناولت في هذا الفصل موضوع إنشاء المستشفيات ومنها المستشفى الفرنسي والمستشفى الحميدي والمستشفى الأميريكي كما مستشفى ربيز، كما بحثت أيضا" دور الأطباء والصيادلة، ودور القطاع الصحي في إزدهار مدينة بيروت وتطورها وتطور القطاع الصحي فيها.

الفصل الثالث: المشاريع المصرفية:

عالجت في هذا الفصل موضوع تأسيس المصارف الأجنبية من فرع البنك العثماني وفرع بنك دوتشي – بالستين وفرع البنك الإنكليزي – الفلسطيني، كما المصارف المحلية، والدور الذي لعبه التجار مع الأوروبيين عبر بيروت في إنشاء تلك المصارف.

الفصل الأول: تطور الحياة الإجتماعية في مدينة بيروت

مقدمة:

في العام 1887 م قسمت بلاد الشام الى ثلاث ولايات هي : دمشق وحلب وبيروت، وذلك بمقتضى التنظيم الإداري الجديد للسلطنة العثمانية، وإشتملت ولاية بيروت على خمسة ألوية وهي: بيروت واللاذقية وطرابلس وعكا ونابلس .

وبناء على إلتماس أهالي بيروت من السلطان عبد الحميد الثاني للإنفصال عن ولاية سورية، تم إنشاء ولاية بيروت ومركزها مدينة بيروت، وذلك نظرا" لإزدياد أهمية مدينة بيروت وحساسيتها[1].

وقد أشار قرار إنشاء الولاية الى ثلاثة أسباب وهي :

- " إزدياد أهمية مدينة بيروت وحساسيتها .
- للوقوف في وجه النفوذ الأجنبي والتقليل من شأنه وأسبابه .
- إتساع ولاية سورية، وإتخاذ ولاتها مدينة دمشق مركزا" لهم، الأمر الذي يجعل بيروت دون أهميتها ." [2].

وقد شكلت ولاية يبروت جزءا" إداريا" مهما" من أجزاء السلطنة العثمانية، وتم تصنيفها من ولايات الدرجة الأولى، ولا شك أن موقع مدينة بيروت مركز الولاية على الساحل الشرقي للمتوسط، قد جعلها تشكل حلقة الوصل بين حركة التجارة الدولية[3].

ولا شك أن تطور النشاط التجاري وتعاظم النفوذ الأجنبي في مدينة بيروت، أوجد لدى مسؤولي السلطنة قناعة بضرورة إنشاء ولاية بيروت[4].

كان لإعتماد مدينة بيروت مركزا" لولاية حملت نفس الإسم، أثرا"كبيرا" في تطور الحياة الإجتماعية في المدينة، كل ذلك نتيجة دعم دولي مترابط بتحولات على الصعد السياسية والإقتصادية.

---

[1] حجازي، فهد: لبنان من دويلات فينيقيا الى فدرالية الطوائف رهانات فوق جغرافيا ملعونة، دار الفارابي، ج3، بيروت – لبنان، 2013. ص 271.

[2] جريج، إلياس: ولاية بيروت 1887 -1914 التاريخ السياسي والإقتصادي، مطبعة عكار، بيروت – لبنان ص 52.

[3] م.ن ..ص 17.

[4] م.ن ..ص 17.

على أن ما حصل من تحول بإتجاه مدينة بيروت، كان تحولا" مدروسا".

وقد أدى ترفيع بيروت الى مستوى الولاية العثمانية المستقلة الى جذب توظيفات فرنسية واوروبية لا يستهان به.

وقد قطعت مدينة بيروت على إمتداد مائة عام شوطا" بعيدا" في الإنخراط في حداثة القرن التاسع عشر، ولعل صغرها بإعتبارها مدينة أقرب الى البلدة ساعد في تخطيها التقاليد الراسخة في مدن اخرى مثل حلب ودمشق [1].

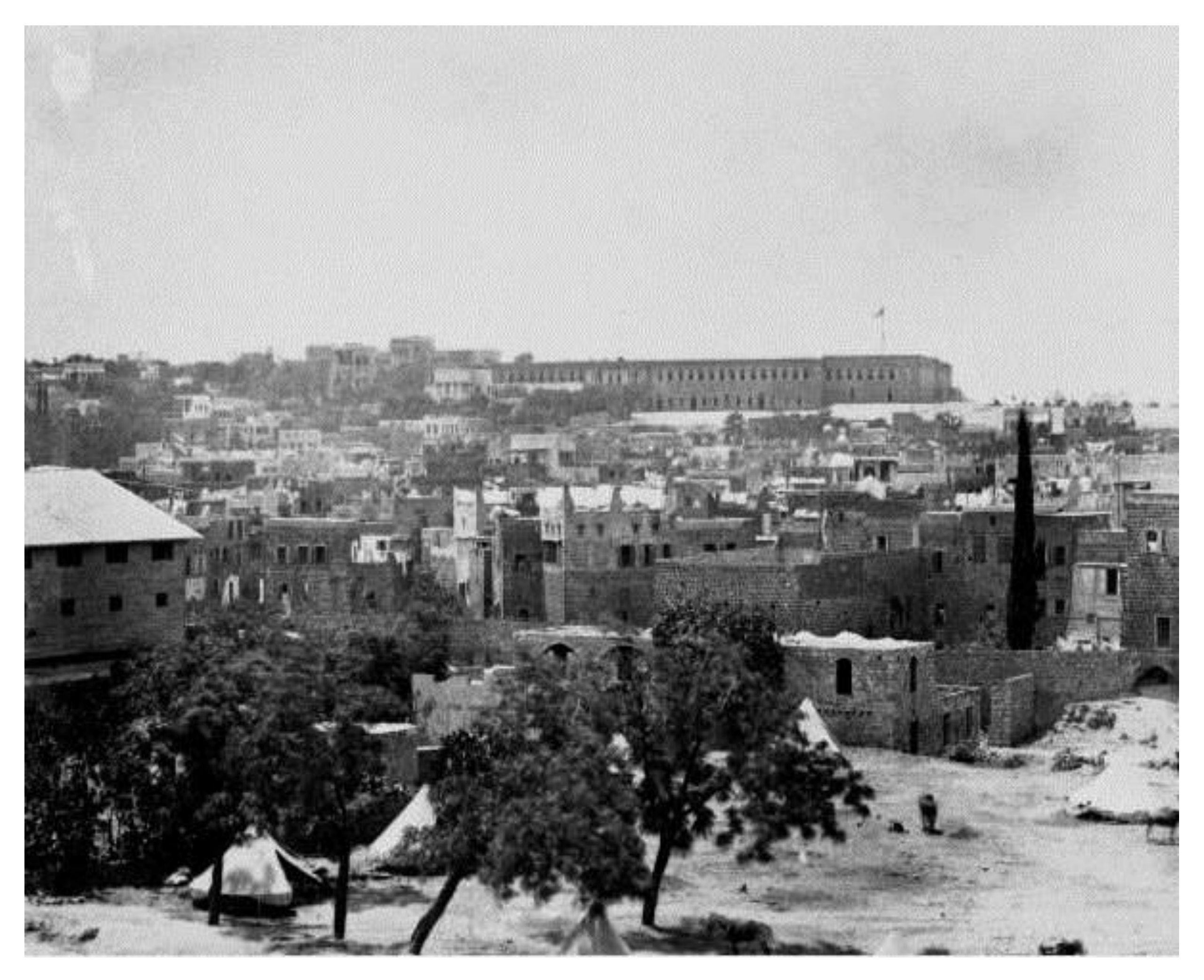
وساهم تنوعها الأهلي المحلي في ذلك، فلم يكن المنخرطون في العادات الأوروبية من الغرباء كما في إزمير والإسكندرية بل كانوا من أهل المدينة والمناطق المحيطة بها، كذلك الذين نزحوا إليها من دمشق.

ولم يقتصر التغيير السكاني على مدينة بيروت عندما كانت لواء يتبع ولاية سوريا (1281-1305هـ/1864-1887م)، بل استمر مع تحولها إلى مركز ولاية بيروت (1305-1337هـ/ 1887-1918م). ونشأت الطبقة الرأسمالية البيروتية، وجرت محاولات لزرع بذرة الإنقسام الطائفي، رغم تمسك المجتمع البيروتي بالعادات والتقاليد الشرقية، مع بدء تحرر المرأة البيروتية.

---

[1] زيادة، خالد، المدينة العربية والحداثة، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت – لبنان، 2019، ص91.

ساحة الشهداء في بيروت خلال العام 1890



المصدر موقع Old Beirut.

1- التغيير الديمغرافي:

بدأت محاولات لإظهار مدينة بيروت وكأنها تحولت إلى مدينة يغلب عليها الطابع المسيحي، بما يتماشى مع السياسة الأوروبية. فذكرت جريدة الجامعة أن عدد سكان بيروت ارتفع من مائة ألف سنة 1885م إلى مائة وخمسة آلاف وأربعمائة سنة 1889م، منهم ثلاثة وثلاثون ألف مسلم فقط، وثلاثون ألف روم أرثوذكس، وثمانية وعشرون ألف ماروني، وتسعة آلاف روم كاثوليك، وألف وخمسماية لاتيني، وألف وخمسماية يهودي، وستماية بروتستانتي، وخمسماية من السريان الكاثوليك، وأربعماية من الأرمن الكاثوليك، وثلاثماية درزي، وثلاثماية من طوائف مختلفة[1].

---

[1] الجامعة: عدد سنة 1889، ص28.

ولعل هذا الإحصاء يبدو غير دقيق، لأنه لا يجوز تعداد كل من سكن في بيروت لفترة قصيرة عاد بعدها إلى مسقط رأسه أو انتقل بعدها للهجرة خارج بلاده. فالبيروتي هو الذي يختار بيروت مقراً ومستقراً.

كما انه يقتضي الإشارة أن جميع النازحين الجدد لم يستقروا في بيروت، بل لم يكن هدف هؤلاء جميعاً الاستقرار في مدينة بيروت. فقد كان مجيئ هؤلاء ومعظمهم من الموارنة يثير اهتماماً عاماً لدى البيروتيين، لأن السكان الجدد الذين جاؤوا من جبل لبنان، حملوا معهم لهجات تتميز بشكل ظاهر عن لهجات سكان المدن الساحلية، وما لبث بعض هؤلاء السكان الجدد أن تحولوا إلى بيروتيين، فزاد عدد المسيحيين عما كان عليه من قبل، لكن معظم هؤلاء المسيحيين، عادوا واختاروا الهجرة من بيروت نحو العالم الجديد (أميركا وأستراليا).

وهنا يظهر الإحصاء الدقيق، بأن عدد سكان بيروت سنة 1895م بلغ حوالي 68455، حيث يمثل المسلمون أكثرية السكان بعد أن بلغ عددهم 46951، مقابل 12382 للموارنة والسريان والروم الكاثوليك و8217 للروم الأرثوذكس، و889 لليهود و 14 للأرمن وإثنين أقباط[1].

لذلك تقتضي الحقيقة التاريخية التمييز بين عدد سكان بيروت المسجلين في دوائر النفوس والذين يعتبرون أنفسهم من "البيروتيين"، وبين عدد المقيمين في بيروت بصورة مؤقتة، ولظروف معينة، يروحون ويجيئون في أوقات محددة.

وتكشف مثل هذا الأمر، سالنامة ولاية بيروت لسنة 1901م، عندما قدرت عدد سكان بيروت بين مائة وعشرين ألفاً ومائة وثلاثين ألفاً، وذكرت أن العدد المسجل رسمياً في دائرة النفوس هو 38954[2]. وهذا هو العدد الرسمي الذي يمكن الاعتماد عليه، في حين أن الحديث عن عدد المقيمين في بيروت، لا يرتكز إلى أساس رسمي، بل إلى تقديرات تخضع لاعتبارات مختلفة، دون أن تغب عنها السياسة الأوروبية. ومن خلال هذه التقديرات غير الرسمية، قيل أن عدد سكان بيروت، والمقصود طبعاً المقيمين في بيروت وليس البيارتة، هو 120 ألفاً سنة 1895م[3]، وسنة 1897م[4]، وسنة 1902م[5]، أي أن هذا الرقم مستقر طيلة ثماني سنوات،

---

[1] ثمرات الفنون: لصاحبها الشيخ عبد القادر قباني، تأسست سنة 1875م، محفوظة على بكرات ميكروفيلم في مكتبة يافت التذكارية بالجامعة الأميركية في بيروت، العدد 1060، تاريخ 13 رجب 1313هـ/ 18 كانون الأول 1895م.

[2] سالنامة ولايت بيروت، مطبعة دار السعادة، لسنة 1319هـ/1901م، ص242.

[3] Philippe Deschamps: A travers l’Egypte, P. 230.
Vital Cuinet: Syrie, Liban et Palestine, P. 53.
Benoît Boyer: Conditions hygiéniques.

[4] Noêl Verney et Georges Dambmann: Les puissances étrangères, P. 339.

[5] Baron du Gabe: Impressions d’un Français, P. 202.

وبدل أن يرتفع بعدها، فإذا به ينخفض إلى مائة ألف نسمة[1] بين سنتي 1903-1906م، ثم ارتفع إلى 132 ألف نسمة سنة 1908م[2]، ومائة وخمسين ألفاً سنة1910م[3]، لينخفض العدد، بدل أن يرتفع إلى 145 ألفاً[4] و 140 ألفاً[5]، سنة/1911م. ثم انخفض إلى 130 ألفاً مع مطلع الحرب العالمية الأولى سنة /1914م، حيث استمر المسلمون السنة كأكبر طائفة يليهم الروم الأرثوذكس ثم الموارنة فالروم الكاثوليك والدروز والأقليات. وهذا ما تفسره رسالة قنصل فرنسا في بور سعيد بمصر إلى وزير خارجية بلاده بتاريخ 9 حزيران 1915م، فتذكر أن عدداً كبيراً من المقيمين في بيروت تركها، ولم يبق فيها سوى خمسين ألف نسمة[6].

ورغم قيام أحياء جديدة في شرق بيروت تضم أغلبية مسيحية من الطائفة الأرثوذكسية، فقد استمر المسلمون على المذهب السني يمثلون أكبر طائفة في بيروت، بسبب استمرار تدفق سكان المدن العربية الأخرى مثل دمشق وحلب وبعلبك وغيرها، وهم الذين استقروا فيها، بعد أن تحسنت طرق المواصلات بينها وبين هذه المدينة نتيجة إنشاء الطريق الدولي المعبد بين بيروت ودمشق سنة 1863م، إضافة إلى إنشاء خطوط السكك الحديدية، هذا فضلاً عن النزوح المستمر من سائر المدن الساحلية القريبة مثل طرابلس وصيدا، مما يؤكد على استمرار غلبة الطابع الإسلامي على مدينة بيروت، مع انفتاحها التام على سائر الطوائف المسيحية التي نزحت من الجبل، ومع ذلك استمرت لفظة بيروتي تطلق على المسلمين والروم الأرثوذكس، في حين كان الآخرون وبخاصة الموارنة يطلق عليهم لفظ "جبلي".

وهكذا بدأت تظهر العائلات البيروتية المسيحية، وبخاصة من الروم الأرثوذكس، إلى جانب العائلات البيروتية الإسلامية "السنية والدرزية" ليكونان معاً هوية بيروت العربية التي ظلت منفتحة تستقبل "الغرباء" الذين ما لبثوا أن تحولوا مع الزمن إلى عائلات بيروتية جديدة تضاف إلى من سبقها في الإرتباط بمصير هذه المدينة. وهذا هو حال بيروت التي استوعبت المذاهب جميعاً سواء الإسلامية أو المسيحية في القرن الرابع عشر الهجري/ العشرين الميلادي، وذلك بالرغم من الاستغراب الذي يبدو لأول وهلة على وجه البيروتي العتيق عند قدوم موجات جديدة من "الغرباء" الذين لا يلبثوا وأن يتحولوا بسرعة إلى عائلات بيروتية في ظل هوية بيروت العربية.

---

[1] الهلال: م12، ج1، ص9.

[2] الأنسي، عبد الباسط: دليل بيروت – تقويم الأقبال لسنة 1327 هـ /1909 م، مطبعة جريدة الإقبال – بيروت 1326هـ. العدد 267، تاريخ 5 تشرين الثاني 1908م.

[3] الهلال: م27، ص101.

[4] Rapport prepare par A. Mathieu en date du 15 Mars 1911.

[5] Ernest Weakley:palestine in the late ottoman period , Report, P. 629.

[6] AE Guerre 1914- 1918, Turquie (Syric- Palestine), Vol 867, P. 189: Lettre du consul de France à port- saïd, a M. le Ministre des Affaires Etrangères, le 9 Juin 1915.

برزت في بيروت وهي مركز لولاية بيروت (1887- 1918م)، عائلات إسلامية "سنية ودرزية" وعائلات مسيحية "أرثوذكسية" لتتصدر مئات العائلات الأخرى.

وأشهر العائلات البيروتية السنية في ذلك الوقت: أبيض، إدريس، إدلبي، اسير، أنسي، أياس، بربور، بربير، بلعة، بيضون، بحصلي، بكار، بيهم، تلجة، تنير، جارودي، جبر، جسر، جدايل، جزايري، جميل، حصن، حطب، حلبي، حلواني، حمادة، حمود، حوت، حوري، خالد، داعوق، دريان، دبيبو، دندن، دياب، دسوم، رمضان، زعني، سربيه، سروجي، سعادة، سجعان، سلام، سنو، سوبرة، شاتيلا، شبارو، شخادة، شهار، صلح، صوص، صيداني، صمدي، طبارة، طيارة، عالية، عانوتي، عباس، عرب، عريس، هريسي، علايا، عيتاني، قاضي، قباني، قدورة، قرنفل، قريطم، قصار، قليلات، قوتلي، قيسي، كبي، كستي، كعكي، كنيعو، لبابيدي، محرم، محمصاني، مرعي، مزبودي، مفتي، مكاوي، ملا، منقارة، منيمنة، نحاس، نصولي، نقاش، نويري، هبري، وزان، يافي، يموت.

أما أشهر العائلات البيروتية الدرزية، فكانت: حمندي، ديك، روضة، زهيري، سليت، عاقل، عبد الخالق، عريضي، عساف، عود، غاوي، غضبان، قمند، مروش، معقصة، مياسي، نجم، هشي.

وكانت أبرز العائلات البيروتية المسيحية: أرقش، بخعازي، بسترس، تابت، تيان، تويني، جبيلي، ربيز، زهار، سابا، ساسين، سرقس، طراد، فرعون، فريج، مجدلاني، مدور، ملحمة، ملكي، مناسترسكي، يارد.

ومن أقدم العائلات البيروتية الأرثوذكسية عائلة "طراد" وجدها يونس ابن طراد الذي جاء من حوران ليسكن في الكورة شمال لبنان، ثم قدم بيروت سنة 1643م، واتصل بالأمير فخر الدين الثاني فارتفعت منزلته لتتوارث سلالته من بعده هذه الوجاهة. واشتهر المطران جراسيموس طراد (ت1867م) أسقف حاصبيا وراشيا، واسبيريدون طراد ياور السلطان عبد العزيز، وقد مات بعد أن كبا به الجواد سنة 1870م. وكذلك المقدسي عبد الله مخايل طراد مؤلف تاريخ "أبرشية بيروت" وجرجي إسحاق طراد (1851-1877م) المحرر في جريدة "الجوائب" ومجلة "النحلة" وجبرائيل حبيب طراد (1854- 1892م) الذي نظم الشعر منذ صغره، وموسى نسيم طراد (1883-1911م) الذي كتب في جريدة "المحبة" وترجم بضع روايات، وأسعد طراد (1835- 1891م) [1] الذي درس في مدرسة عبيه وسافر إلى مصر حيث عمل في التجارة، وإسحق طراد وله مآثر مشرفة في حوادث سنة 1860م.

---

[1] أسعد طراد (1251-1308هـ/1835-1891م) ينتمي إلى عائلة بيروتية شهيرة فيها ارباب الثروة والتجارة ورجال الأدب والشعراء. ولد ببيروت التي كانت تفتقر إلى المدارس، فأرسله والده إلى المدرسة الأميركية في عبيه، وكان يحب الشعر. وسنة 1289هـ/1872م سافر إلى الإسكندرية حيث تعاطى التجارة. وقد جمع ابن أخيه فضل الله طراد، مائة من قصائده الشعرية.
جرجي زيدان: تراجم مشاهير الشرق، ج2، ص368-372.

ومن عائلة بسترس، برز جرجي أبي مرعي بسترس، وسليم دى بسترس[1] الذي نظم الشعر.

2- نشوء الطبقة الرأسمالية

نشأت الطبقة الرأسمالية التي بدأت تلعب دوراً مميزاً في المجتمع البيروتي، مع العائلات البيروتية التي عملت في التجارة والصناعة.

وقد تحولت بيروت إلى مركز هام لتجارة الحرير، وبخاصة بعد تطور وسائل النقل بين أوروبا والمشرق العربي، بفضل السفن التجارية التي كانت تنقل الحرير من بيروت باتجاه مرسيليا وغيرها من المدن الفرنسية، فتحولت فرنسا إلى سوق عالمي للحرير. وبدأت الرساميل الفرنسية تتجه نحو بلاد الشام من أجل تأسيس معامل حل الحرير على الطراز الأوروبي، اعتباراً من مطلع النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي. وقامت هذه الرساميل الفرنسية بربط بيروت بكل من متصرفية جبل لبنان التي تعتبر المركز الرئيسي لإنتاج الحرير، وبالمدن الساحلية، بواسطة شبكة من المواصلات. وكان الهدف منها تأمين وصول الحرير الخام إلى بيروت بأقل كلفة. وبذلك تم شق الطرق التي تربط بيروت بكل من: طرابلس، صيدا، بعبدا، بيت الدين، بعبدات، وبكفيا[2].

وكان للعائلات البيروتية المسيحية غلبة اقتصادية تمثلت بتسلّم تلك العائلات المسيحية، ولاسيما الأرثوذكسية والكاثوليكية، زمام حركة التصدير والاستيراد من أوروبا وإليها.

ويذكر "أن المسلمين السُنّة ملكوا العقارات، وكان بعض عائلاتهم أمثال بيهم وداعوق تتعاطى التجارة الكبيرة، بينما سيطر المسيحيون على القسم الأكبر من التجارة. وكانت بيدهم المصارف والأعمال التقنية وكل المهن الحرة تقريباً"[3].

---

[1] سليم موسى بسترس: ولد في بيروت سنة 1255هـ/1839م، وتعتبر عائلة بسترتس من أشهر عائلات بيروت وبلاد الشام. كان والده موسى من أعيان طائفته ومؤسس اتحادها. سافر سليم إلى أوروبا سنة 1271هـ/1855م، والف كتاباً عنها سماه "الرحلة السليمية". وعرّب عدة روايات. ثم قصد الإسكندرية سنة 1276هـ/1860م للنجارة. وسافر إلى ليفربول سنة 1283هـ/1866م حيث أنشأ مكتباً تجارياً نقله إلى لندن سنة 1286هـ/1869م. وتزوج ابنة عمه سنة 1291هـ/1874م وأنجب ولدين، أحدهما اسكندر وكان عرابه القيصر الروسي إسكندر الثاني والثاني فلاديمير وعرابه القيصر إسكندر الثالث، مما يشير إلى الحظوة التي كان يتمتع بها لدى البلاط الروسي. وقد توفي في لندن سنة 1300هـ/1883م. ونقلت جثته إلى بيروت سنة 1302هـ/1885م. وطبع كتاب عنه في مطبعة القديس جاورجيوس.
جرجي زيدان: تراجم مشاهير الشرق، ج2. ص199-201.

[2] زعرور، حسن، بيروت التاريخ الاجتماعي 1864-1912، المركز الإسلامي للإعلام والإنماء، بيروت-لبنان، ص 159.

[3] كوثراني وجيه، بلاد الشام في مطلع القرن العشرين: السكان والاقتصاد وفلسطين والمشروع الصهيوني، قراءة في وثائق الدبلوماسية الفرنسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط3، أيار 2013، ص61.

وفي مطلع القرن العشرين، وبالتحديد في سنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى وما بعدها، يلاحظ اهتماماً فرنسياً مكثّفاً بأوضاع سورية الاقتصادية. علما" أن هذا الاهتمام الفرنسي ليس جديداً، حيث كان قد تركز إثر التدخل العسكري الفرنسي الأول (1860)، وانطلاقة زراعة التوت وتجارة شرانق وخيوط الحرير في متصرفية جبل لبنان بفضل الرساميل الفرنسية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بيد أن الاهتمام الفرنسي في المرحلة الجديدة، مرحلة وصول حركة التسابق الاستعماري إلى ذروتها، سيتكثف ويُعبّر عن نفسه في جهود حثيثة وأفكار ومشاريع يجنّد لها، لا الجهاز الدبلوماسي القنصلي فحسب، بل أجهزة أخرى: خبراء وعلماء وأساتذة جامعات وغرف تجارة ورجال أعمال.

وتمثل هذا "الوقع" في أشكال التلاقي بين مُعطيات اقتصادية محلية (بشكل أساس: مواد أولية زراعية)، وشبكة من المصالح الفرنسية التي تمثّلت في تملّك واستثمار عدد من المشاريع التي تُلبّي حركة التصدير والاستيراد وانتقال السلعة وتسويقها بين محطات الأسواق التاريخية في المشرق: حلب، دمشق[1].

وقد إشتهرت بيروت مع طرابلس وصيدا بالمنسوجات الحريرة، نتيجة ازدهار زراعة أشجار التوت مع اتساع تربية دود القز التي توفر الشرانق لإنتاج الحرير. وبتشجيع من رؤوس الأموال الأجنبية، اصبحت ولاية بيروت في سنة 1910م، تضم 9,17 مليون شجرة توت تغطي مساحة 4500 مليون هكتاراً منها 550 الف شجرة في مدينة بيروت وحدها[2]، فضلاً عن 6,8 مليون شجرة في طرابلس، و1,7 مليون شجرة في اللاذقية، و120 ألف شجرة في عكا. بينما استمرت متصرفية جبل لبنان في المركز الأول حيث ضمت حوالي 28 مليون شجرة[3].

أخذت كمية إنتاج الحرير المصدرة عبر مرفأ بيروت إلى مدينة ليون، تشهد تزايداً منذ سنة 1319هـ/1901م، حيث بلغت 410 آلاف كيلو غرام. ثم وصلت إلى 480 ألف كيلو غرام سنة /1905م، و527 ألف كيلو غرام سنة /1910م. وأخذت الطبقة الرأسمالية البيروتية تظهر من خلال تجارة الحرير، سواء مع الشرق أو الغرب وبخاصة فرنسا، وما رافقها من تأسيس المصارف المحلية والأجنبية.

---

[1] كوثراني، وجيه، بلاد الشام في مطلع القرن العشرين: م.س، ص117

Marcel Emerit, “La Crise syrienne et l’expansion française en 1860", Revue historique, no 207 (January – March 1952), pp. 211-232.

[2] موريس شهاب: دور لبنان في تاريخ الحرير، منشورات الجامعة اللبنانية، 1967، ص36.

[3] Gaston Du Caussou: L’industrie de la soie en saie et au Liban, Janvier 1913, p. 118.

ومع اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة /1914م، أصيبت تجارة الحرير بالإنهيار التام. فقد توقفت حركة الإستيراد والتصدير، واصبح من المتعذر الحصول من فرنسا على البذارة المعدة لتربية دود الحرير، وقطعت أشجار التوت لبيعها كمحروقات أو لزرع القمح مكانها، وهاجرت الأيدي العاملة إلى الخارج، مما أدى إلى انخفاض إنتاج الحرير وإقفال معظم معامل حل الحرير. وانعكس ذلك كله على الطبقة الرأسمالية التي ظهرت على حساب تجارة الحرير، بعد أن تعرض معظم العاملين في قطاع الحرير، لضربة قاسية أظهرت مدى خطر التبعية الإقتصادية للرساميل الخارجية.

كانت أغلبية العاملين في المعامل الحديثة من المسيحيين وفي مقدمتهم الموارنة، ثم الروم الأرثوذكس، والروم الكاثوليك، فضلاً عن أقلية درزية. وكان القسم الأكبر من هؤلاء من الفتيات اللواتي يعملن ثلاث عشرة ساعة في الصيف، وتتراوح الأجرة اليومية بين 2,5 و6 قروش، بينما يعملن تسع أو عشر ساعات في الشتاء بأجرة يومية تتراوح بين 1,75 و4 قروش. في حين توزع العمال الذكور كمراقبين وسواقين وخبراء في الحرير، بأجرة يومية تتراوح بين 8 و12 قرشاً[1].

ومن العائلات التي كانت تعمل في تجارة الحرير: آل الريس، فرنيني،فياض، مصللي، عساف، قرنفل، حوري، فرعون،خياط، بيهم، عكاوي.

وقد نشطت التجارة عن طريق مرفأ بيروت، بعد تأسيس الشركة العثمانية لمرفأ بيروت في سنة 1305هـ/ 1888م، فهي التي ساهمت في تطويره وتوسيعه. كما تأسس مجلس التجارة سنة 1317هـ/1899م برئاسة عبد القادر الدنا، يعاونه: عبد الله بيضون، متري طاسو، أسعد رعد، نحله عوده، حسن المعماري، وعبد الرحمن بيهم.

ويشير الجدول الى حركة تجارة مرفأ بيروت بين عامي 1901 و 1919، يوضح فيه تذبذبات هذه الحركة.

[1] Gaston Ducoussou: L’industrie de la soie en Syrie et au Liban. P. 156.

جدول يبين

حركة تجارة بيروت 1901 – 1919 (بالطن) [1]

عام	استيراد	تصدير	المجموع
1901	-	-	146,700
1902	-	-	165,672
1903	-	-	181,291
1904	-	-	205,003
1905	-	-	182,632
1906	-	-	220,154
1907	-	-	276,284
1908	-	-	243,488
1909	-	-	270,168
1910	-	-	284,231
1911	221,926	59,927	281,853
1912	151,183	53,173	204,355
1913	181,804	49,249	231,073
1914	118,804	30,588	149,392
1919	67,010	9,977	

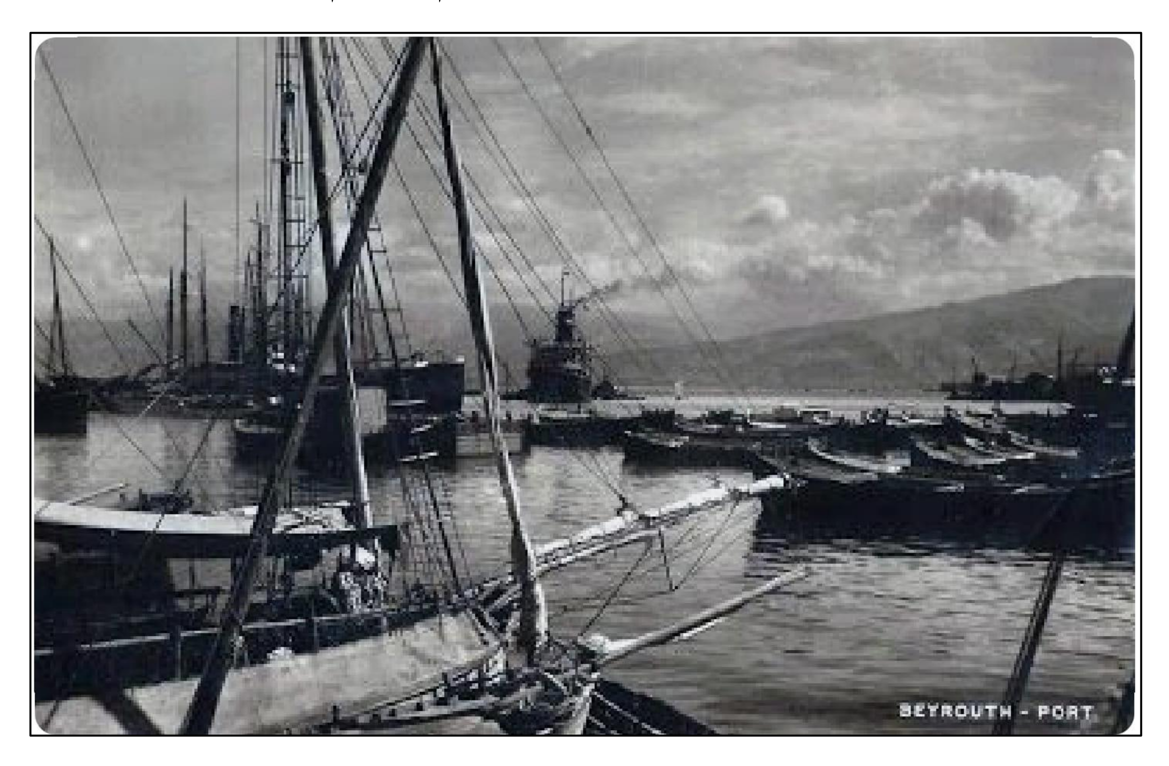
نلاحظ أنه حتى عام 1904 كان مرفأ بيروت يتلقّى منتوجات حوران ومنطقة دمشق وولاية حلب. فبين عامي 1901 و 1904 ارتفعت نسبة تجارته العامة حوالي 40 في المئة. بينما نلاحظ في عام 1905، عندما افتتح فرع درعا – حيفا شيئاً من الهبوط. بيد أن الوضع لن يلبث أن يتحسن ابتداء من العام التالي على الرغم من انتكاسة بسيطة في عام 1908. وسبب هذا التحسن أن شركة (D.H.P) الفرنسية استطاعت أن تتحمل منافسة خطي الحجاز وبغداد. واستطاع مرفأ بيروت، بالتالي، أن يصل إلى ذروة حركته في عام 1910. لكن مع افتتاح خط حمص – طرابلس في عام 1911، بدأت صادرات مرفأ بيروت بالتناقص التدريجي، حتى إن الوضع العام للمرفأ أخذ ينذر بالانهيار[2].

---

[1] كوثراني، وجيه، بلاد الشام في مطلع القرن العشرين، م.س، ص150.

[2] م.ن، ص 150.

صورة لمرفأ بيروت خلال العام 1910 م



المصدر موقع Old Beirut.

وفي الفترة (1904- 1911م)، برزت بعض العائلات المسيحية كوكلاء للتجارة الفرنسية بين سوريا وأوروبا، أمثال: أصفر، بسترس، بسول، تابت، تويني، حايك، حلو، خطار، خياط، رباط، الريس، سابا، سرسق، شرتوني، صباغ، طراد، عريضة، فرعون، فريج، فياض، مدور، مفرج، موصللي، ناضر، ونقاش.

وكانت بعض العائلات البيروتية الإسلامية مثل بيهم وداعوق وبربير، على علاقة وثيقة ببعض تجار الحرير من العائلات المسيحية، مما سهل لها زيادة ثرواتها عن طريق تجارة الحرير بين بيروت ودمشق وحلب والقاهرة وإستانبول، اي داخل السوق العثماني[1] وهذا ما يفسر اهتمام فرنسا بتجارة الحرير في سنوات ما قبل اندلاع الحرب العالمية الأولى سنة 1914م. ففي سنة1910م، قدمت مدينة ليون الفرنسية حوالي سبعة ملايين فرنك لتغذية جميع مراحل إنتاج الحرير من زراعته إلى معمل حل الحرير مروراً ببيوتات التجار والمال والوسطاء والسماسرة في بيروت[2].

إن الموقع الاجتماعي لأغلبية البرجوازية اللبنانية يعود إلى أنها جمعت ثرواتها عبر قروض قدمتها للفلاحين الفقراء على محاصيل مواسمهم من الشرانق فنراها تقدم القروض

---

[1] C. Dubar, S. Nasr: Les classes sociales au Liban, P. 58-59.
[2] Dominique Chevalier: Lyon et la syrie en 1919, P. 291.

"المقاطعجيي" الجبل في قرى بعبدا- زحلة- الشوف. وتحولت هذه الفئة فيما بعد للعمل في تجارة الحرير والحبوب واستطاعت امتلاك العديد من المعامل الحرفية. [1].

هذا ونظراً للتقدم السريع لوسائل النقل بين أوروبا والمشرق العربي والذي أدى إلى سرعة في المواصلات بفضل حلول السفن البخارية والتي قامت بنقل الحرير من بيروت باتجاه مرسيليا وغيرها من المدن الفرنسية بحيث أصبحت فرنسا سوقاً عالمياً للحرير خاصة بعد شق ترعة السويس .

وقد بدأ عدد من كبار التجار في بيروت يستثمرون جزءًا من رؤوس أموالهم في معمل حل الحرير، مع العلم أن عدداً من المعامل الفرنسية والإنكليزية قد أنشئت قبل هذه الفترة بقليل بالقرب من المواد الأولية حيث تركز أعداد كبيرة من مربي دودة الحرير[2].

وتجدر الإشارة هنا أن بعض معامل حل الحرير المحلية بقيت تحافظ على تشغيل معاملها على الطريقة التقليدية وبقيت تجارتها محصورة ضمن نطاق الريف، غير أن المعامل الأخرى العائدة إلى الأجانب كانت تعمل على الطرق الحديثة فاستطاعت منافسة معامل الحل المحلية والقضاء على الكثير منها. غير أن بعض المعامل اللبنانية صمدت أمام هذا الواقع بالرغم من أنها كانت تصنع حريراً أقل جودة من حرير المعامل الأوروبية الموجودة بجانبها، وقد لعب الرأسمال الليوني عبر مؤسساته في المدينة دوراً بارزاً في دعم بعض المعامل اللبنانية أمثال: سرسق اخوان- جورج تويني- أصفر اخوان.

وسجلت هذه الفترة اهتمام وكيل التجارة الليونية في بيروت "Arles du Four" بتطور هذه المعامل. فكان يرسل بتقاريره الدورية إلى كبار تجار الحرير في فرنسا عن كمية انتاج الشرانق فيها ومستوى أسعار الحرير[3].

ومع تطور العلاقات التجارية، قام تجار الحرير في ليون، بإنشاء مكتب للبريد والمعلومات في بيروت للبقاء على اتصال دائم مع عملائهم بغية تزويدهم بآخر المعلومات عن الوضع الاقتصادي في المنطقة.

ومع تسارع نمو برجوازية الحرير في هذه الحقبة استطاعت تحقيق تراكم أولي على صعيد هذه التجارة مع السوق الخارجي، فنرى بعض العائلات المسيحية والإسلامية تحقق نجاحاً في هذا المجال نذكر منها على سبيل المثال عائلة بيهم في بيروت والتي كانت على علاقة وثيقة

---

[1] زعرور، حسين، بيروت التاريخ الاجتماعي 1864-1914، المركز الإسلامي للإعلام والإنماء، بيروت- لبنان. ص 164.
[2] م.ن. ص 165.
[3] م.ن. ص 166.

بأحد تجار الحرير المسيحيين (بطرس الأصفر) حيث كان هؤلاء يبيعون الحرير في أسواق دمشق. كما احتلت بعض العائلات البيروتية الإسلامية مراكز مرموقة في الجبل كعائلة بيهم[1].

وهكذا بقيت بعض العائلات الإسلامية في بيروت (داعوق بيهم) منخرطة في سوق داخلي عثماني، استطاعت مراكمة ثرواتها عبر التجارة مع الداخل السوري ومصر وتركيا.

هذا بالإضافة إلى أن تجاراً من المسيحيين الموارنة في بيروت أصبحوا وكلاء التجارة الفرنسية، وكانت على رأس المؤسسات التجارية التي كانت تمسك بعمليات الترانزيت بين سورية وأوروبا.

استطاعت هذه الفئة من البورجوازية المسيحية والإسلامية المدنية في هذه الفترة احتكار تجارة الحرير وتجارة الحبوب مع الداخل السوري. وبشأن شراء القمح من سوريا وافتتاح دور الأيتام والصناعة في بيروت يقول عمر الداعوق في مذكراته عام 1914.

"استطعت بمساعدة والي بيروت الحصول على أربع وثائق من جمال باشا أثناء زيارته لبيروت تسمح لي باستحضار الطحين من سوريا وشحنها بأسعار مخفضة... ثم قمنا بفتح داراً لصناعة الحياكة وغزل الحرير بجانب دور الأيتام في محلة المزرعة، والثاني في حي مار نقولا عمل فيهما أولاً فتيات دور الأيتام، وكانت بإدارة سيدات من أهالي بيروت". وتشير الوثيقة بأن تجارة عمر الداعوق الأساسية كانت قبل الحرب هي تجارة المجوهرات.

وهكذا يتبين إن الدور الذي لعبته البرجوازية الوسيطة في بيروت في عمليات إدارة البنوك، وتصدير الحرير واستيراد البذور المعدة لتربية دود الحرير لسد حاجات معامل الحرير العائدة لها، والعاملة أيضاً لحساب الرأسمال الفرنسي وبشكل خاص الليوني، سمحت لها جميع هذه العمليات بجني أرباح طائلة لعبت دوراً مهماً في عملية تراكم الثروة لديها.

"فبنك بسول مثلاً كان وكيل أكبر البيوتات الليونية ومن أهم مصدري الحرير لحساب هذه المؤسسات وبشكل خاص للسنوات التي تلت الحرب العالمية الأولى"[2].

إن الدور الهام الذي لعبته البرجوازية على امتداد هذه الحقبة على الصعيد الاقتصادي كان يقابله دور سياسي إذ تسلمت مناصب ومهام أساسية في مجالس إدارة مدينة بيروت، ومجالس البلديات منذ العقد الثاني للقرن التاسع عشر، كما كانت رائدة العمل السياسي في حركات الإصلاح- حركة بيروت الإصلاحية عام 1912، والمؤتمر العربي في باريس عام 1913. وتراكمت ثرواتها خلال أعوام 1914-1918 بتعاطيها تجارة الحبوب بين سورية ولبنان وبشرائها الأراضي الشاسعة بأسعار زهيدة من صغار الفلاحين في جبل لبنان والبقاع وغيرها

---

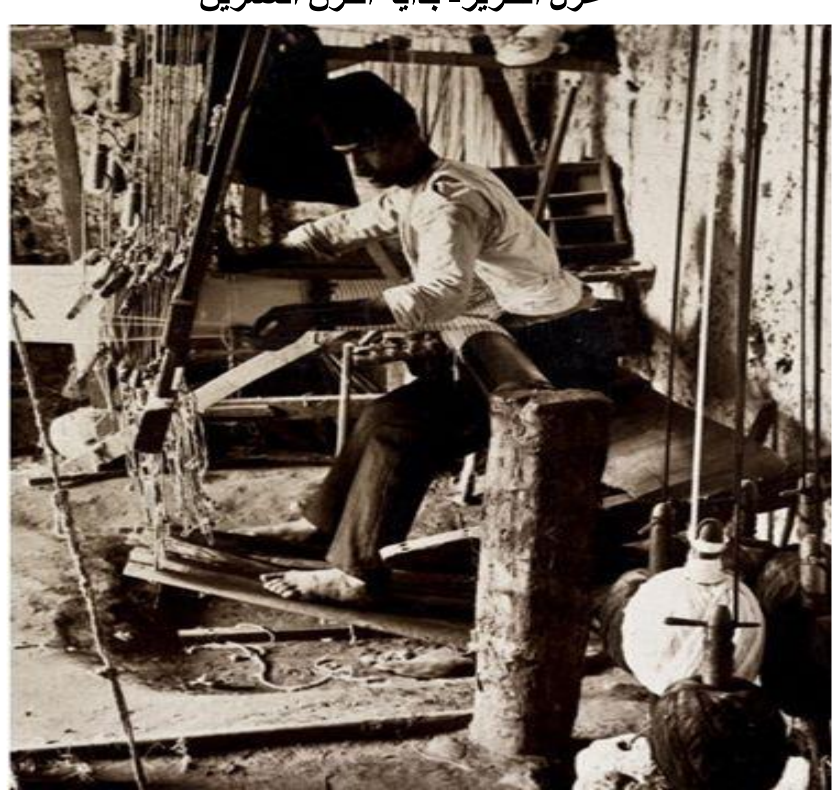
[1] زعرور، حسين، بيروت التاريخ الاجتماعي 1864-1914، م.س. ص 166.
[2] م.ن. ص 166.

بسبب تفشي الجوع والأوبئة "وقدرت الأموال التي راكمتها مع بداية الحرب الأولى 1914، بـ- 7 ملايين ليرة ذهبية و 18 مليون عام 1918". كذلك وطدت هيمنتها أيام الانتداب الفرنسي وبالأخص أثناء هبوط انتاج الحرير بسبب ما خلفته الحرب من دمار في هذا القطاع فتراها تنقل نشاطها إلى قطاعات أخرى أكثر ربحاً[1].

وبذلك شهدت بيروت نشوء طبقة اجتماعية جديدة من التجار معظمها من المسيحيين الذين فتحت أمامهم أبواب تجارة الحرير مع فرنسا، فضلاً عن تسلمهم المناصب الحرة في الشركات الأجنبية، وعملهم كتراجمة في قنصليات الدول الأجنبية، كما عمل بعضهم في المحاماة والطب والهندسة. وكانت تغلب على هذه العائلات المسيحية العادات الغربية لكثرة أسفارهم إلى أوروبا فيرتدون الملابس الأوروبية ويتحدثون باللغة الفرنسية في ما بينهم[2].

وهذا كله يشير إلى اغتناء العائلة البيروتية بحكم تطور بيروت في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، فضلاً عن وفرة السواح الأوروبيين من فرنسيين وألمان وإنكليز، مما ساهم في تغيير العادات والتقاليد البيروتية واتخاذ بعضها، بخاصة لدى الطوائف المسيحية منحى أوروبياً واضحاً. فكان ذلك بداية الغزو الأوروبي بعاداته وتقاليده إلى بيروت وسائر المدني العربية، تمهيداً للسيطرة التامة عليها.

غزل الحرير- بداية القرن العشرين



المصدر موقع Old Beirut.

---

[1] زعرور، حسين، بيروت التاريخ الاجتماعي 1864-1914، م.س. ص 164-167.

[2] كريمسكي: رسائل من لبنان، ص 113 (مذكرة أول تشرين الثاني 1896).

وقد كانت مدينة بيروت مركز لجذب للأوروبيين، فكان يقطنها من الأجانب ألفان وسبع مائة واثنان وأربعون شخصاً في عام 1897، لكن نسبتهم لم تكن كبيرة مقارنة بإزمير والإسكندرية، في حين أن دور بيروت التجاري أتاح في المقابل بروز العائلات المسيحية؛ فـ "بحلول منتصف القرن التاسع عشر، تفوق التجار المسيحيون على منافسيهم الأوروبيين والمسلمين. وإضافة إلى التجارة، كان الكثيرون منهم يعملون في البنوك والتأمين أو في وكالة شركات الملاحة الأجنبية، كما استثمروا في العقارات التي تؤمّن ربحاً سريعاً. وكثرة من هؤلاء التجار كانت تتمتع بحماية القنصليات. فعلى سبيل المثال، كان عدد الذين يتمتعون بحماية القنصلية البريطانية في بيروت 195 شخصاً عام 1901"[1].

تذكرة صادرة عن ولاية بيروت

المصدر موقع Old Beirut.

وقد تجلت التغيرات والحداثة في المجتمع البيروتي في وسائل الإنتقال الحديثة وتقبل المجتمع البيروتي لها، ومنها مثلا" الطائرة فقد كانت أعجوبة حينها وهو ما تحدثت عنه بإسهاب عنبرة سلام الخالدي في وصف ظهور الطائرة أول مرة في سماء مدينة بيروت حيث قالت فيها: " ولا أزال إلى اليوم أشعر بنشوة حينما أرى طائرة في السماء، وأول طائرة حطت على أرضنا كانت على ما أذكر طائرة الفرنسية صغيرة يقودها الطيار جول فدرين، ولا أعلم كيف انتشر الخبر في بيروت، إذ تراكض الأهلون إلى مكان نزولها، وكان ذلك في أرض رملية على الطريق المسماة اليوم طريق المدينة الرياضية وذلك في سنة 1913. وكان الطيار في عصبية ظاهرة لما لاقاه من صعوبة في غوص طائرته بالرمال. ولا أقدر أن أسترسل أكثر من ذلك لعدم معرفتي للطرق التي عالج بها طائرته للإقلاع بسلام.

---

[1] زيادة، خالد، المدينة العربية والحداثة، م.س، ص86.

ثم حلقت في سماء بيروت بعد ذلك طائرة عثمانية، وحطت على منخفض قرب البحر في شوران، وكأن بوقاً سماوياً أعلن في أنحاء البلدة عن مكان وزمان وصول الطائرة، فقد انتشر الأهالي يملؤون الهضاب المطلة على ساحة النزول. فلم يبق كبير أو صغير، رجل أو امرأة إلا وزحف مسرعاً يأخذ مكاناً يرى منه المشاهدين، وتنزل من السماء العليا إلى الأرض وفي استقبالها والي بيروت وجميع الرسميين والوجهاء، ويقودها الطياران فتحي وصادق التركيان. وكان حديث الطائرة المدهشة عاماً في جميع المجالس والمنازل. كما كان الأسى عميقاً حين وصل النبأ المحزن بأن الطائرة الجميلة العجيبة قد تحطمت بقائديها الشابين في أغوار طبريا الحارة. وفي ذلك قال الشاعر اللبناني نقولا فياض في قصيدته التي رثى بها الحادث:

طبريا لا صبّحتك الغوادي　　　يا ابنة النار يا ابنة الرمضاء[1].

الدكتور دانيال بلس رئيس الجامعة الأميريكية في بيروت
يقود أول سيارة تصل الى لبنان خلال العام 1906 م.



المصدر موقع Old Beirut.

[1] الخالدي، غبره سلام، جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين، دار النهار للنشر، بيروت، 1978، ص49.

وهكذا فقد تبين أنه ورغم مقاومة بيروت للغزو الأوروبي بكافة أشكاله الأوروبي، وتمسكها بعاداتها وتقاليدها، فقد ساهم هذا الغزو في بدء تحرر المرأة البيروتية.

3- التمسك بالعادات والتقاليد الشرقية وبدء تحرر المرأة البيروتية

رغم توزع الطبقات الاجتماعية في بيروت على ثلاث: ثرية ومتوسطة وفقيرة، إلا أنها كانت تلتقي دائماً في التمسك بالعادات والتقاليد الشرقية المألوفة في المجتمع البيروتي عبر قرون طويلة. وذلك دون أن ننكر اختراق العادات الغربية لها عن طريق بعض العائلات الثرية وبخاصة المسيحية منها، وذلك في ما يتعلق بالملابس واستعمال الأدوات الجديدة في المأكل وشراء الأثاث الأوروبي وفي تحرر المرأة ومشاركتها الرجل في كثير من المجاملات. مع الإشارة الى أن الشرق شهد تحرر المرأة مع الانتشار العربي- الإسلامي، منذ سنة /634م وما وصلت إليه المرأة من تخلف وحرمان خلال أربعة قرون متتالية، يعود إلى الحاكم العثماني الذي استمر طيلة هذه القرون، وليس إلى طبيعة الشرق.

وهكذا، بقيت العادات والتقاليد الشرقية، تجمع طبقات المجتمع البيروتي وعائلاته على اختلاف طوائفها ومذاهبها، سواء في مأكلها ومشربها وصومها وأعيادها وأعراسها وجنازاتها، مع الفارق الطبيعي بالنسبة للمظاهر.

وقد زار بعض الرحالة والعلماء العرب والأجانب بيروت في تلك الفترة التي شهدت تطورها. فيصف الرحالة محمد بيرم التونسي (1840-1889م) مدينة بيروت أثناء زيارته لها سنة /1880م، وهو عائد بعد أداء فريضة الحج، كما أوضح الألفة والمحبة بين أهالي بيروت الذين "وإن كانوا قسمين: مسلمين ونصارى، لكنهم جميعاً في غاية الألفة بعضهم مع بعض وعوائدهم جميعاً واحدة، حتى في محاسن أخلاقهم"[1].

وقد وصفت شوارع بيروت وأزقتها، بأنها كانت مقببة، معتمة، ذات التواءات واعوجاج وقذارة، وقامت هناك بنايات على الطراز الأوروبي عوض البيوت القديمة، وحلت المخازن العصرية الجميلة محل الحوانيت والدكاكين العتيقة. وأنشئ رصيف واسع على البحر، وتزدحم جماهير الناس على اختلاف الألوان والأزياء والألسن على أرصفة بيروت الضيقة وشوارعها وشواطئها، وحول دور القناصل الخافقة فوقها أعلام الدول الأوروبية [2].

---

[1] محمد بيرم التونسي: صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، 1870، أوراق لبنانية، م1، ص173.
[2] الولي، طه، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، دار العلم للملايين، ط أولى، 1993، ص580.

وكذلك فقد وصف أهل بيروت بأنهم أصحاب لطف وذوق، وأهل معشر وأصحاب كيف، مصروفهم أكثر من مدخولهم، وما ذلك عن عدم ادراك عندهم للأحوال العمومية، بل لأن مصائب الحرب علمتهم أن الانسان لا يأخذ معه شيئاً من الأموال التي يجمعها، وهم يعتقدون، أن الله رفض تداول الورق النقدي في كل المناطق التابعة لحكمه أو الواقعة تحت انتدابه في السماء، لذلك تراهم يصرفون ضعف ما يدخل عليهم وهم غير سائلين! [1].

وعندما وصل الشيخ محمد عبد الباقي الجواد القاياتي إلى بيروت سنة /1882م، بعد فشل ثورة أحمد عرابي في مصر، وصف بيروت بأنها "مدينة إسلامية ديناً وغيرة وحمية، أوروبية نظاماً وبناء وحربية. فإنه (البيروتيون) مع كثرة مخالطتهم لغير دينهم من وطنيين وأجانب في غاية الصلابة والتحفظ على شعائر الدين[2]. مما يعني أن القاياتي ركز في زيارته على البيروتيين المسلمين.

أما الرحالة عبد الرحمن بك سامي، فقد زار بيروت سنة /1890م وهو في طريقه إلى دمشق عائداً إلى بلده مصر. ووصف أشهر أحياء بيروت، حي الرميل أو الصيفي، حيث منازل أشهر أغنياء بيروت كآل بسترس وسرسق وتويني وغيرهم، تحاكي القصور الشاهقة في فخامتها وزخرفتها وحسن أثاثها. كما أشار إلى ميدان حرج بيروت الشهير، وفيه يتنافس بعض شبان بيروت بركوب الخيل ولعب الجريد. واشاد ببيروت التي لا يوجد فيها محلات لساقيات البيرة، ويقل فيها المواخير والملاهي وأماكن المومسات[3].

ويؤكد الأمير محمد علي باشا خلال زيارته لبيروت، على تشبث البيروتيين بالعادات الشرقية والتمسك بالزي الشرقي، وتفوق بيروت على سائر مدن الشام بالنسبة للتعليم والقراءة والكتابة، حيث كانت تستعمل التركية والفرنسية والإيطالية والإنكليزية إلى جانب اللغة العربية[4].

وقد كانت النساء تتحجبن عند الخروج بزي على غاية من الإستهجان بليغة، ولا يرضين أن يحجبن نصف الوجه فقط كما تفعل نساء إسطمبول، بل يحجبنه كله بإزار من نسيج هو في الغالب أسود اللون معقود على الرأس عقداً محكماً، ويطرحن فوقه نسيجاً أبيض يجلببهن من الرأس إلى القدمين، كأنهن في ذلك أشباح وأطياف، ويتعثرن في سيرهن البطيء بذلك الحجاب الأسود وبأحذيتهن المزدوجة، فيزدن المشهد غرابة، أو يبدين للعيان خيالات أو وطاويط!.

وعلى مثال المسلمات هذا، تظهر المسيحيات أيضاً في الشوارع، ما عدا نساء الإفرنج. ويقال إن هذه المجاراة هي خصيصاً لاستجلاب إحترام الأتراك (أي المسلمين) والنساء الأوروبيات يخرجن دوماً سافرات!.

---

(1) الولي، طه، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، م.س، ص59.

(2) محمد عبد الجواد القاياتي: نفحة البشام في رحلة الشام، بيروت، دار الرائد العربي، ص33-34.

(3) عبد الرحمن بك سامي: القول الحق في بيروت ودمشق، بيروت، دار الرائد العربي، 1981م، ص9-34.

(4) محمد علي باشا: الرحلة الشامية، ط1، 2002، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص17-52.

على أن نساء بيروت، يلبسن تحت الزي الخارجي المضحك بغرابته وعدم هندامه، ثياباً فاخرة مفوّفة، معممات الرؤوس بكياسة فائقة، وعليها قبعات من الذهب المطرز بالنقوش، وغدائر من الشعور الكثيفة، تزينها سلاسل طويلة من النقود الذهبيّة ويرتدين أيضاً صدريّة مطرَّزة بإتقان رائع ومفتوحة على الصدر وسراويل فضفاضة من الحرير، ويتمنطقن بزنانير ذات ألوان زاهية حادة متنوعة، وينتعلن خفافاً حمراء أو صفراء، هذا هو الزي المألوف في الطبقات الميسورة والغنيّة[1].

أما العالم الروسي أغاتانفيل كريمسكي، فقد سكن بيروت لمدة سنة وثمانية أشهر (تشرين الأول 1896- أيار 1898م) بعد أن حصل على منحة دراسية لتعلم اللغة العربية، ودراسة التراث الشعبي واللهجات المحكية والأدب العربي الحديث. وأثناء إقامته وضع رسائل ومذكرات تحت عنوان "رسائل من سوريا"[2] وهي ترسم صورة حية عن الحياة اليومية في بيروت وجبل لبنان في تلك الفترة. وقد سكن كريمسكي في منطقة الرميل الأرثوذكسية، وخلال الأيام الأولى، زاره ما يقارب الألف عربي أرثوذكسي. فلا غرو أن تشير رسائله إلى مدى علاقة روسيا القيصرية والأرثوذكس العرب في مدينة بيروت ومتصرفية جبل لبنان.

أحب كريمسكي بيروت منذ بداية إقامته فيها حتى رحيله عنها، فوصفها بأنها "أجمل مدن الشرق التي شاهدتها. استانبول جميلة من جهة البحر لكنها قبيحة من الداخل، أما بيروت فجميلة من الخارج وجميلة ونظيفة من الداخل. وبيروت هي الأبهى، بيروت هي الأجمل، كم هي عظيمة جميلة، رائعة! كم أنا شديد التعلق بهذه المدنية، كم أحبها حباً عظيماً، فباتت، بالنسبة لي، وطناً ثانياً. كما وصف الحياة العامة البيروتية من أنواع المأكل[3] إلى حرفة التسول[4] وجرائم القتل[5]، والعادات وقت الأعراس[6]، والجنازات[7]. فضلاً عن وصفه لحمام عربي[8] في بيروت، مما يشير إلى الأحوال البيروتية وبخاصة لدى الطائفة الأرثوذكسية.

---

[1] الولي، طه، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، م.س، ص58.

[2] نشر الباحثان فيزير وسميليا نسكايا "رسائل من سوريا" في سنة 1973م، بعد أن اختارا لها عنوان "رسائل من لبنان 1896-1898". وقد نقل يوسف عطا الله مقتطفات من هذه الرسائل إلى اللغة العربية، لتصدر في كتاب "بيروت وجبل لبنان على مشارف القرن العشرين- دراسة في التاريخ الإجتماعي من خلال مذكرات العالم الروسي الكبير أ. كريمسكي رسائل من لبنان 1896- 1898" الذي نشرته دار المدى- بيروت 1985.

[3] كريمسكي: رسائل من لبنان، ص106 (مذكرة 1 تشرين الثاني 1896).

[4] م.ن، ص118، 155 (مذكرة 18 تشرين الثاني 1896 و مذكرة 19 كانون الثاني 1897).

[5] م.ن، ص123 (مذكرة 24 تشرين الثاني 1896).

[6] م.ن، ص159-163 (مذكرة 2- 4 شباط 1897).

[7] م.ن، ص173-175 (مذكرة 21-22 شباط 1897).

[8] م.ن، ص 163 (مذكرة 7 شباط 1897).

وقد وصف الألماني ماكس فرايرر فون أوبنهايم كامل المنطقة المحيطة ببيروت توحي بخصوبة عالية و بأنها مستغلة زراعيا بشكل ممتاز.

بعد كيلومترين نحو الداخل خلف المدينة تمتد منطقة رملية معزولة متطاولة وضيقة. في هذه المنطقة كان أمير الدروز الواسع النفوذ فخر الدين المعني قد أمر في القرن السابع عشر بزرع غابات الصنوبر لكي يحمي التربة الحمراء الخصبة من مزيد التصحر. لقد تطورت الأشجار الفريدة من نوعها مع تيجانها الرائعة ذات اللون الأخضر الغامق، بشكل ممتاز و ظلت في منأى عن التصحر الشامل تقريبا الذي حل بغابات سورية. على مسافة غير بعيدة على نهر بيروت تقع حديقة عامة تحتوي على عدد لا حصر له من مختلف أنواع الأزهار و نباتات الزينة و تحمل اسم مؤسسها الذي توفي مؤخرا في لندن كسفير لتركيا و الذي لم يزل يحظى بتكريم كبير و بأطيب الذكر في سورية و هو رستم باشا. هنا يلتقي المجتمع البيروتي الأنيق بعد الظهر لكي يستمع إلى أنغام الفرقة الموسيقية لجيش لبنان[1].

إن الطابع العام لمدينة بيروت المتطورة باستمرار أصبح أوروبيا بالكامل تقريبا.

وكان الكثير من المسلمين و المسيحيين المحليين يرتدون ملابس أوروبية. و لكن بدلا من شرفات الأسطحة المسطحة و نوافذ غرف الحريم المشبكة التي يجدها المرء في كثير من مدن العالم الإسلامي الأخرى، يجد المرء هنا أسطحة مائلة مغطاة بالقرميد الأحمر و شبابيك واسعة خضراء اللون مؤلفة من درفتين تبقى في بيوت المسلمين في الأقسام المخصصة للحريم مغلقة طبعا.

الشوارع الجديدة في بيروت عريضة و تضاء ليلا بمصابيح غاز. أما في الأحياء القديمة و الفقيرة فلم يزل الناس يتلمسون طريقهم ليلا في الأزقة الضيقة المتعرجة بواسطة الفانوس. و في نفس الشارع يوجد في أحيان كثيرة إلى جانب الأكواخ الصغيرة المنخفضة بناية أو بنايتان من عدة طوابق.

وكان يوجد في بيروت نواد مجهزة بشكل جيد و العديد من القصور الفخمة التي تحمل تماما طابع بيوتنا الأوروبية الخاصة، و منها على سبيل المثال البيوت التي تسكنها العائلات المسيحية الغنية سرسق و بطرس و تويني. و مما يلفت الانتباه أن الفنادق ظلت، على الرغم من الحركة السياحية القوية، في مستوى بدائي قياسا إلى فنادق القاهرة أو اسطنبول.

---

[1] ماكس فون أوبنهايم، من البحر المتوسط إلى الخليج لبنان وسوريا، ج1، ص16.

وكان يوجد مقاهي شرقية تعزف فيها موسيقى عربيـة و كثيـر مـن الـدكاكين و المحـلات التجارية مجهزة على الطريقة الأوروبية، و هناك العديد من الصيدليات و الخياطات و مصممات الأزياء الفرنسيات. و تباع في بيروت جميع السلع الأوروبية تقريبا، و لكن نوعيتهـا تكـون غالبـا غير جيدة، و يستطيع المسافر الحصول على كل ما يحتاجه باستثناء الأجهزة و الأدوات العلميـة. أما تجارة الكتب فلم تزل متخلفة جدا، و من الصعب الحصول على كتب أوروبية باستثناء بعـض الكتب الدينية و الروايات الفرنسية[1].

[1]ماكس فون أوبنهايم، من البحر المتوسط إلى الخليج لبنان وسوريا، م.س.، ص 17.

صورة لقهوة القزاز(القجاز) في العام 1905 م



المصدر موقع Old Beirut.

وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي، كانت المرأة البيروتية مسلمة أو مسيحية تعاني من التخلف الاجتماعي والثقافي.

وكانت كثرة الأولاد في العائلة الكبيرة إحدى المسلمات الأساسية للعائلة البيروتية[1] شأنها في ذلك شأن جميع المدن في المشرق العربي حتى مطلع القرن العشرين الميلادي. أما

---

[1] كريمسكي: رسائل من لبنان، م.س، ص137 (مذكرة 27 كانون الأول 1896).

"العائلة الصغيرة" فكانت أمراً غير مألوف إلا عند فئة من الأغنياء الذين تلقوا تعليمهم في أوروبا أو في الجامعات الأجنبية داخل بيروت، وهذا الأمر ينطبق على المسيحيين.

ومن هنا يمكن القول أن دور المرأة كان محصوراً داخل البيت، وكان البيروتي لا يزال يشير إلى زوجته بكلمة "حرمة" أو البيت، فيقول: "البيت مريض" و"البيت كان معي في الحج". وكان الحجاب مفروضاً على وجه كل فتاة تجاوزت العاشرة سواء أكانت مسلمة أم مسيحية.

إن الحفلات الوحيدة التي كانت تحضرها النساء ويهيئن لها أجمل الملابس، ويتحلين فيها بثمين المصاغات، كانت حفلات الأعراس. وكانت أم العريس هي التي تختار له العروس بعد جولات على البيوت، تمتحن فيها البنات من الهيئة إلى اللياقة في تقديم القهوة. وفي حال الموافقة، يذهب والد العريس لطلب يد الفتاة من أبيها، وتقرأ الفاتحة على نية القبول. ويبدأ العريس بزيارة أهل العروس ليجالس الرجال فقط، في حين تتلصص العروس عليه من شقوق الأبواب.

إن الخطوات التي تسبق الزواج عند المسلمين، هي أكثر إثارة مما يحدث عند المسيحيين. وكانت مثل هذه الخطوات، تبدأ بتوجه أهل الشاب لطلب يد الفتاة من ولي أمرها، مع وجود كبير العائلة من الجانبين. وإذا تمت الموافقة، تقرأ سورة الفاتحة، ثم توزع المرطبات والحلويات على صوت الزغاريد. وبعد الاتفاق على يوم تلبيس (تسليم) العلامة، يقام حفل الخطبة الذي يقتصر عادة على النساء، حيث تقوم والدة الشاب بحمل "العلامة" ليشاهدها الحاضرون قبل إهدائها إلى الفتاة "المخطوبة". وهذه العلامة عبارة عن خاتم الخطبة (المحبس) إضافة إلى عقد وأساور من الذهب يتخللها أحياناً حبات الألماس، وذلك حسب المكانة الاجتماعية لأهل الشاب. وبعد إنشاد المواويل والأغاني الخاصة بالأفراح على صوت الزغاريد، وتوزيع الشراب والحلويات، يتم الاتفاق مبدئياً على يوم عقد القرآن (أي كتب الكتاب).

يجري عقد الزواج "الكتاب" في بيت العريس. ويبدأ إعداد "الجهاز" والتباهي فيه بين العائلات، فيتم شراء أشياء كثيرة لا ضرورة عملية لها. ويقام حفل الزفاف في بيت أهل العروس، ثم يأتي وفد من أهل العريس تتقدمه أمه مع عدد من العربات لنقل العروس إلى بيت زوجها. وأثناء الاحتفال بالعرس يأتي العريس في منتصف الليل، ومعه والده والمقربون منه، فتثار الضجة بين الحاضرات وتتدبر كل مدعوة غطاء لرأسها ووجهها، وتسدل "الماشطة" (مهمتها تزيين العروس) غطاءً شفافاً على وجه العروس، فيتقدم العريس منها، ويرفع الغطاء عن وجهها وهو يراه لأول مرة، وكذلك عند المسيحيين، يقام الإكليل في المنزل وليس في الكنيسة. وبعد انتهاء العرس يتفرق الجميع ليرافق الأهل العروسين إلى بيت العريس. وذلك بعد تقديم الملبس والحلوى والليموناضة والمربى. والاختلاف هو في مسألة الخمر، فالمسيحي يوزع كؤوس الخمر من نبيذ أو كونياك أو ما شابه، أما المسلم فيعلم أن هذه العادة من المحرمات لذلك يكتفي بكؤوس الشراب (ورد، ليموناضة). مع الإشارة إلى أن المسيحي في بيروت كان حريصاً على عدم الجهر بشرب الخمر أول الأمر، ولكن هذه العادات بدأت تظهر علناً بعد تحول بيروت إلى مركز لولاية تحمل اسمها سنة 1305ه/1887م، كما أن الاحتفال بإكليل العروسين، لم يتحول من

المنزل إلى الكنيسة، إلا بعد تحول بيروت إلى مركز لدولة لبنان الكبير التي ابتدعها الانتداب الفرنسي في أول أيلول 1920م.

كانت المرأة تقيم مع أهل زوجها أسرة ضمن أسرة، وكثيراً ما يتعدد الأخوة المتزوجون في بيت واحد. ومع ذلك، فإن تعدد الزوجات كان تقريباً غير معروف بين العائلات البيروتية، وكذلك حوادث الطلاق. كما أن الفتاة البيروتية لا تستطيع أن تتخذ زوجاً سبق لها معرفته أو التحدث إليه[1].

وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي وبتأثير من الإرساليات التبشيرية الأجنبية، كانت المرأة البيروتية المسيحية أسبق للخروج من تخلفها الاجتماعي والثقافي، بعد أن تأثرت بالغرب الأوروبي. وعندما زار الشيخ محمد عبد الجواد القاياتي بيروت سنة /1882م، وصف المرأة البيروتية مقارناً بين المرأة المسلمة التي تلبس الملاية الحرير، وعلى وجهها المنديل الرقيق فلا تظهر من بدنها شيئاً، وبين المرأة المسيحية التي تلبس الفستان الواسع، وتتحدث مع الرجال الأجانب في الطرقات والبيوت، وبعضهن كنساء أوروبا في إرخاء الذيول ولبس البرانيط على رؤوسهم ولا يختلفن عنهن إلا باللسان واللغة[2].

والواقع في أن التعليم اقتصر على الطوائف المسيحية، وقلة من المسلمين ولم يكن مألوفاً أن تخرج الفتاة البيروتية، وبخاصة المسلمة لتلقي العلم، وعندما زار عبد الرحمن بك سامي، مدينة بيروت سنة /1890م، أشار إلى المرأة البيروتية بقوله: "ونساء بيروت متأدبات محتشمات، والمسلمات منهن يتحجبن عن مقابلة الضيوف، والمسيحيات يقابلن الزائرين باللطف والأدب... فإن أكثرهن تعلمن في المدارس.. وقد جارين الرجال في عدة أمور"[3].

وهذا القول يوضح أن المرأة البيروتية المسيحية أقبلت على التعليم قبل المرأة البيروتية المسلمة التي عاشت محرومة منه حتى نهاية الحرب العالمية الأولى. ويرجع تفوق المرأة المسيحية إلى مجيئ الإرساليات التبشيرية الأجنبية والتنافس بين الكاثوليك (ومعظمها فرنسية) والبروتستانتية (أميركية)، بعد أن افتتحت المدارس المتعددة. فأسس الأميركيون أول مدرسة للبنات في بيروت سنة 1834م، في حين أسس اليسوعيون أول مدرسة للبنات سنة /1844م وذلك على يد راهبات الزيارة. وأسست مسز "بوين طمسن" المدرسة الإنكليزية للبنات سنة /1860م،

---

[1] عنبرة سلام الخالدي: جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين، م.س، ص50-54.

[2] محمد عبد الجواد القاياتي: نفحة البشام في رحلة الشام، م.س، ص47-53.

[3] عبد الرحمن بك سامي: القول الحق في رحلة بيروت ودمشق، م.س، ص14.

كما أنشئت مدرسة لتدريب المعلمات للمدارس الإبتدائية والثانوية. ثم تأسست الكلية الإنجيلية للبنات، ومنذ ذلك الحين انتشرت المدارس الكثيرة في بيروت وجبل لبنان من أجل تعليم البنات[1].

اقتصر التعليم في بيروت على المرأة البيروتية المسيحية، وهذا ما يشير إلى تفوقها ومساهمتها في حركة التحرر والتعليم عند المرأة. فلا غرو أن تشارك المرأة البيروتية المسيحية في تأسيس الجمعيات والمدارس الوطنية لتعليم البنات، مثل "جمعية زهرة الإحسان ومدرستها لتعليم البنات الفقيرات مجاناً"[2]. كما اسست الراهبة الأرثوذكسية لبيبة جهشان وهي من مواليد فلسطين، مدرسة زهرة الإحسان للبنات سنة /1881م، وكانت تحت إشراف البيروتية إملي سرسق التي شاركت بدورها في تأسيس مستشفى سان جورج سنة /1887م، وتخليداً لذكراها نصبت لها جمعية زهرة الإحسان تمثالاً من الرخام داخل باحة المدرسة سنة /1914م فكان أول تمثال لإمرأة بيروتية.

وأسست أوجني سعد جمعية "تهذيب الفتاة" سنة /1907م لتعليم الفتيات الفقيرات، وكان لها فرعان: أحدهما في الشويفات وقد رأسته بنفسها، والآخر في رأسته ملكة بارودي ثم زاهية سعد. وقد أنشأت هذه الجمعية داراً لحضانة الطفل في محلة رأس النبع داخل بيروت. وهذا كله يشير إلى دور الروم الأرثوذكس في نهضة المرأة البيروتية.

كما شاركت المرأة البيروتية المسيحية في المؤتمرات الدولية، فحضرت هنا كسباني كوراني "مؤتمر النساء العمومي" في شيكاغو بالولايات المتحدة الأميركية سنة 1893م، ومثلت الكسندرا افرنيو المرأة البيروتية في "مؤتمر السلم العام" الذي عقد في باريس سنة /1900م[3].

حاول المسلمون اللحاق بهذا التطور التعليمي، فتأسست جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية سنة/1878م وأنشأت أول مدرسة لها للبنات، وهذا التنافس بين الأجانب والوطنيين، دعا الدولة العثمانية للإهتمام بدورها بإنشاء المدارس الرسمية، ومنها مدرسة البناء العثمانية في بيروت، وقد قال الشيخ عبد القادر قباني إن الهدف من تأسيس مدرسة للبنات، هو تعليم الفتيات المسلمات اللواتي يتعذر عليهن لأسباب معينة دخول المدارس المسيحية ما يؤكد أن المدارس المسيحية كانت تتضمن طالبات مسلمات، أضف الى ذلك فإن الفتاة المسلمة كانت تتلقى العلوم الدينية والقراءة والكتابة، وهذا بدوره يعد نوعا" من أنواع التعليم .

---

[1] حنيفة الخطيب: تاريخ تطور الحركة النسائية في لبنان (1800- 1975م)، دار الحداثة للطباعة والنشر، 1990، ص13-14.

[2] عبد الرحمن بك سامي: م.س، ص4-8.

[3] مجهول: المؤتمر النسائي في بيروت، 1928، ص3.

وقد حث الشيخ عبد القادر قباني المسلمين على التعلم، ومجاراة الطوائف الأخرى بالإستفادة من العلوم الحديثة، وأكد على ضرورة التقدم وترك أساليب التعليم القديمة، وعند تأسيس جمعية المقاصد الإسلامية كان هم المؤسسين إرسال بعض الطلاب لدراسة الطب في مصر[1].

ولا شك أن رحلة المسلمين في بيروت مع التخصص في العلوم الطبية، كانت شاقة، وقد تبع ذلك تخرج عدد من الأطباء المسلمين من الكلية السورية الإنجيلية[2].

وهكذا يتبين أن المسلمين أقبلوا على التعليم لمجاراة باقي الطوائف، رغم الظروف التي تحيط بالمجتمع المسلم البيروتي، وكان لجمعية المقاصد دورا" بارزا" في تعزيز تلك الرغبة .

لكن هذه الدولة المنهارة كانت أول من حلت جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية طيلة ست وعشرين سنة (1882/-1908م)، وهي فترة كافية لعرقلة إنقاذ الفتاة البيروتية المسلمة من التخلف.

ومع ذلك كان البيروتي المسلم بشكل عام، ينظر إلى البنات والنساء المتحررات باستهزاء واحتقار ويعتبرهن "مستهترات" رغم أن الإسلام دعا إلى تحرر المرأة ومشاركتها الرجل في كثير من الأمور، ولكنها التقاليد والعادات. وهذا ما دعا جريدة "أبابيل" لتنشر خبر "البنات المسلمات في النوادي الليلية" لأن عنبرة سلام، ابنة سليم علي سلام، وكانت لا تتجاوز الثالثة عشرة من عمرها، حاولت حضور حفلة في نادي مدرسة الأحد حيث ستلتقي أستاذتها جوليا طعمة خطاباً، علماً أنها لم تحضر الحفلة وعادت إلى البيت[3].

وبالحديث عن السيدة جوليا فقد عرض عليها سليم علي سلام استلام إدارة المدرسة الأولى للمقاصد، وإطلاق يدها بكل ما تراه مناسباً من إصلاح، لما كان لها من خبرة في التعليم بمدارس مختلفة من قبل ذلك، وكما كان العرض يعد بادرة جريئة من قبل الجمعية، فقد كان في الوقت ذاته مغامرة من صبية مسيحية أن تقبل العمل في وسط المحيط الإسلامي، بل في قلب البسطة والمصيطبة، وقد قوبلت من الجميع بالتقدير والاحترام كما أنها أقبلت على عملها بقلب مفتوح، ونفس محبة لخير كل من تتصل به من تلميذات ومعلمات وأعضاء جمعية، حتى أنه كان لها تأثير السحر على تلميذاتها، بل وعلى أهالي التلميذات ممن كانت تتصل بهم. وبلغ من تعلق التلميذات بها أن كانت كلمة صغيرة منها، أو إيماءة لطيفة تبديها، كافية لتقوم التلميذة بكل ما تؤمر به بما يرضي مديرتها[4].

---

[1] حلاق، حسان: بيروت المحروسة في العهد العثماني، الدار الجامعية، بيروت 1987. ص106.

[2] م.ن .ص109.

[3] عنبرة سلام الخالدي: جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين، م.س، ص68- 72.

[4] م.ن، ص 68.

وقد ذكرت عنبرة سلام الخالدي كيف كانت السيدة جوليا تقضي ساعات الدرس مع تلامذتها حيث قالت:" وكثيراً ما كانت تقضي ساعات الدرس معنا، بإعطائنا شتى الصور الأخلاقية السامية، والمواعظ القيمة، وتفتح أعيننا على ما يجري في الكون من محاسن وسيئات وتدفعنا غلى التمسك بالكرامة الذاتية. كل ذلك بأسلوبها الجذاب الرائع. وكانت لها مثاليات تبثها في نفوسنا الغضة، فنستجيب إلى كل أقوالها وتتنافس في إرضائها. وأعتقد أن الكثير من مثالياتها يعد في نظر أجيال اليوم من الأوهام والأحلام التي يبعد تحقيقها أو السير إليها. ثم وجهتنا إلى دراسة الشخصيات النسائية العالمية، وأرشدتنا غلى القراءات المفيدة من خارج المنهاج المدرسي، فكنا نتلقف كل ما يصل إلى ايدينا من ذلك. واذكر السرور البالغ الذي كنا نستقبل به مجلتي المقتطف والهلال المصريتين، وكذلك مجلة الزهور المصرية، ثم مجلة الحسناء البيروتية، التي كان يصدرها شهرياً الأديب جورج نقولا باز، وكان ييلقب بنصير المرأة، وأعتقد أنها أول مجلة نسائية صدرت في بيروت، وكانت تشجع الأقلام النسائية من أية جهة كانت، فكنا نجد في هذه المجالات وسواها كل ما يرضي فضولنا من أخبار نسائية وعالمية وغير ذلك.

وكانت الست جوليا من أبرع خطيبات عصرها، وأذكر أننا كنا نقرأ ما تلقيه من الخطب في المنتديات ونحن أشد ما نكون إعجاباً بها.

أما الست جوليا فقد بلغ من شدة إعجابها أحد أعضاء الجمعية الشباب بها أن طلبها للزواج. وهو السيد بدر دمشقية، وكان يعد من ألمع شباب بيروت ثقافة، فقاومت هذا الطلب بشدة، لما كان يرافقه من عقبات عائلية واجتماعية، حتى أنها اضطرت إلى ترك المدرسة والذهاب إلى مصر، ثم إلى أوروبا هرباً منه، فلحق بها إلى هناك وبعد إلحاح دام أشهراً تم زواجهما، الذي أنجب فيما بعد السيدة سلوى السعيد، التي ورثت عن والدتها النشاط الجم، والخدمات الاجتماعية الدائمة، والسيد نديم دمشقية سفير لبنان في لندن من ابرز شباب العرب هذه الأيام. ولكنها لم تترك المدرسة، بعد إقامتها معنا سنتين، إلا بعد أن قدمت الشهادات لصفنا، الذي كان يعتبر الصف النهائي بالمدرسة، وهو يضم ست فتيات فقط، وأعتقد أن مستواه كان بدرجة السنة الرابعة الثانوية. ولكنه كان يسمى الصف الأول في المدرسة وبقي على اسمه هذا في جميع السنوات الثلاث التي قضيتها فيها، وكان نصيبي شهادة إمتياز لا أزال أحتفظ بها إلى الآن[1].

وقد وصف سليم علي سلام، وهو أحد نواب بيروت، وضع المرأة البيروتية عند نشوب الحرب العالمية الأولى، في خطبة ألقاها في مجلس المبعوثان في يوم الثلاثاء 14/ تموز 1914م، منتقداً المدارس الرسمية وتحديداً مدرسة البنات العثمانية في بيروت، بقوله: "... أما مدارس البنات... إنها لفي الدرك السفل، المرأة قوام الحركة الأدبية وركن الهيئة الاجتماعية، ما دامت منحطة، فالأمة تظل منحطة أيضاً. إن مدرسة البنات العثمانية في بيروت، لم تتخرج منها منذ

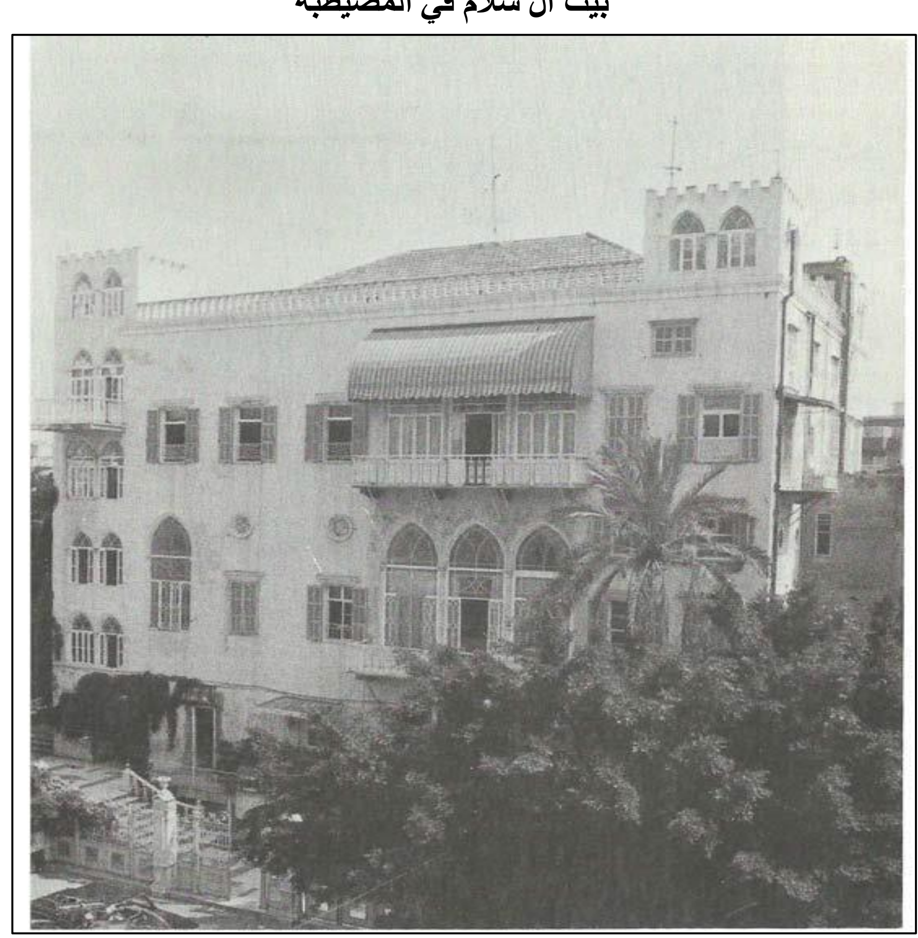
---

[1] عنبرة سلام الخالدي: جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين، م.س، ص70.

إنشائها إلى الآن تلميذة واحدة جديرة بالاحترام العلمي، بخلاف مدارس البنات الأجنبية، التي يتخرج فيها كل سنة عدد كبير من الفتيات الراقيات"[1].

ولا شك ان هذا الخطاب كان نقضا" بظاهره للمدارس الرسمية، وإنما بمضمونه كان ردا" على ما فعله الوالي، أحمد حمدي باشا، المتمثل بإصدار الأمر بحل جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية وإلحاقها بالمعارف، ثم سماها "شعبة المعارف الأهلية، وإظهارا" لموقف أهالي بيروت بعد دعوة أعضاء شعبة المعارف الأهلية، الأسر البيروتية التي كانت تدعم جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية مادياً ومعنوياً، إلى مواصلة هذا الدعم لصالح الشعبة، وعدم تغيير عوائدهم بإسعاف الفقير وبث العلوم"[2]، إلا أن الحقيقة أن هذه الأسر البيروتية، قد هالها حل جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية في بيروت، معتبرة أن شعبة المعارف الأهلية لا تمثلها أبداً، رغم وجود أحد عشر عضواً من أعضاء جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية المنحلة، بين الأعضاء السبعة عشر داخل شعبة المعارف الأهلية.

بيت آل سلام في المصيطبة



المصدر موقع Old Beirut.

[1] أحد أعضاء الجمعيات العربية السرية: ثورة العرب ضد الأتراك، ص163.
[2] م.ن، ص 4.

وقد لعب والي بيروت عزمي بك، دوراً كبيراً خلال الحرب العالمية الأولى (1915/-1918م)، في رفع مستوى المرأة البيروتية المسلمة إلى مستوى المرأة المسيحية بهدف تحريرها، فأخذ يعمل على إشراك المرأة في الأعمال الإجتماعية عن طريق الجمعيات والأندية النسائية. فتأسست "جمعية يقظة الفتاة العربية" سنة /1914م، وكانت برئاسة نجلاء بيهم، وتضم: أمينة حمزة، عادل بيهم، وداد المحمصاني[1]. وسنة /1916م، قام والي بيروت بتأسيس الملاجئ لاحتضان الصغار وتعليمهم مختلف الحروف والعلوم، فتعاون مع سيدات المجتمع البيروتي[2]. ثم أنشأت المرأة البيروتية أول نادٍ للفتاة المسلمة هو "نادي الفتيات المسلمات" سنة /1917م، وكان برئاسة عنبرة سلام، ويضم: ابتهاج قدورة، أمينة شريف، روحية الخالدي، عادلة بيهم، فاطمة بيهم، نجلاء بيهم، وعقيلتي كمال باشا المخيش ومحمد بك حمادة[3].

وكان أن خرجت الفتاة البيروتية المسلمة من عزلتها الإجتماعية، لتحضر الإجتماعات والندوات، في هذا النادي الذي ألحقت به مدرسة مجانية لتعليم الفقيرات. وأخذت تقام حفلات مختلطة من الجنسين نتيجة استمرار عملية تحرر المرأة وازدياد إقبالها على العلم والمعرفة، حتى أنشأت الآنسة ماري كساب مدرسة إبتدائية مختلطة للذكور والإناث سنة /1917م، وقد دعتها المدرسة السورية[4]. هذا فضلاً عن مصادرة السلطات للكليات والمدارس الأجنبية المقفلة بسبب إشتراك الدول التابعة لها في الحرب ضد الدولة العثمانية. وبذلك تسلمت بعثة من المعلمات التركيات برئاسة خالدة أديب وفيكار عثمان، كل من دير الناصرة ومدرسة البناء الفرنسية وقسماً من كلية القديس يوسف، فحولتها إلى مدارس للبنات لتعليم اللغة التركية، وأقامت مشغلين لتشغيل النساء المحتاجات، أحدهما برئاسة ليندا سرسق والثاني برئاسة سنية حمادة.

وقد تجلى تحرر المرأة العربية بما حدث في الأيام التي سبقت الحرب الأولى، حيث قامت في نفوس فتيات عربيات رغبة في إنشاء جمعية نسائية غايتها مساعدة الفتيات العربيات على التعلم، ومعونة المتفوقات منهن على إكمال تعليمهن بكل وسيلة ممكنة، وكان ذلك في شهر آذار سنة 1914. حيث تم في الاجتماع انتخاب عضوات كان من بينهن ابتهاج قدورة وأمينة حمزة وعادلة بيهم وسواهن، وبعد عدة اجتماعات تم وضع دستور لجمعية إتفق على تسميتها "يقظة الفتاة العربية" تدليلاً على أنها من أوائل الجمعيات النسائية،

وقد انتخبت عنبرة سلام الخالدي كاتبة للمراسلات وقد كلفت أيضا" بإرسال الرسائل إلى كل شخصية معروفة في البلاد العربية لتبشرهم بخطوة إنشاء الجمعية وطلب العون المادي والمعنوي. ولكن الاستجابة لم تكن على قدر حماسة الآمال. وذكرت عنبرة سلام الخالدي أيضا"

---

[1] المقاصد: العدد 2 (شباط 1982)، ص88-95.

[2] حنيفة الخطيب: تاريخ تطور الحركة النسائية في لبنان، م.س، ص21.

[3] محمد جميل بيهم: فتاة الشرق في حضارة الغرب، مطبعة قلفاط، 1952، ص4.

[4] حنيفة الخطيب: م.س، ص23.

أنهن عكفن على العمل الجدي، وتمثل بزيارة مدارس البنات لانتقاء الفتيات المتفوقات فيها ممن تسمح لهن أحوالهن المادية بتلقي علوم عالية. وقد قاموا بتدبير ما قد تتطلبه المدارس، من ملابس ولوازم الفراش والكتب، حتى أعلنت الحرب العالمية الكبرى في آب سنة 1914 فتوقفت الحركة، فتشتت شمل أعضاء الجمعية بالهجرة، إذ خشي الناس من احتلال أجنبي، لأن الجميع كانوا يعلمون بمطامع فرنسا في سوريا ولبنان. وبما أن بيروت ثغر بحري فكان الاعتقاد بأن إقدام المحتلين ستطأها قبل أي عمل آخر، واصبح كل رب عائلة يسعى إلى وضع عائلته بملجأ أمين. وكانت الهجرة الكاسحة قد بدأت منذ شهر أيلول سنة 1914 إلى سوريا، فقد غصت دمشق بالوافدين من بيروت كما عجزت القطارات عن حملهم. حتى أن بعض الصحف وبعض المتاجر قد نقلت مراكزها من بيروت إلى دمشق. ولم يبق بيت في دمشق وضواحيها إلا وقد استضاف منهم عدداً، واستأجر الكثيرون بيوتاً آوتهم مدداً طويلة أو قصيرة، ومكث بعضهم سنين حتى ملوا الإقامة في غير بلدهم، وحتى اقتنعوا بأن هجرتهم المفاجئة لم يكن لها ما يبررها. فعادوا إلى بيوتهم وأشغالهم[1].

كانت الحرب العالمية الأولى بمثابة مرحلة انتقالية، ايقظت المرأة البيروتية بشكل خاص والمرأة العربية بشكل عام، مع التأكيد على أن المرأة المسيحية وبخاصة الأرثوذكسية هي التي يعود لها فضل الريادة في الوصول إلى هذه المرحلة لتقف في ما بعد جنباً إلى جنب مع المرأة المسلمة التي استطاعت اللحاق بها بسرعة.



المصدر موقع Old Beirut.

---

[1] عنبرة سلام الخالدي: جولة في الذكريات بين لبنان وفلسطين، م.س، ص93.

4- زرع بذرة الانقسام الطائفي:

إستمرت بيروت مدينة الإنفتاح والوحدة، فيها تعيش مختلف الطوائف. حيث حرية المعتقد وممارسة الشعائر الدينية. فإلى جانب الجوامع اللافتة بجمال مآذنها وساحاتها ونوافيرها المتدفقة؛ ترتفع الكنائس التابعة لمختلف الطوائف المسيحية من الأرثوذكس والكاثوليك، إلى الموارنة، فالبروتستانت. وكذلك لطائفة اليهود[1].

وقد قال لويس لورته الذي زار بيروت سنتي /1875م و 1880م؛: "تعيش في بيروت، مختلف القوميات وفي مقدمها الأغلبية الساحقة من العرب، إضافة إلى أقلية تركية، آشورية، فارسية، يهودية، وأوروبية"[2].

ويبدو أن ميزة بيروت هذه لم تعجب الغرب الأوروبي ومعه السلطنة العثمانية التي حولها هذا الغرب إلى "رجل أوروبا المريض". فلا غرو أن يعملان معاً على إثارة الفتن والاضطرابات التي بدأت في الجبل (1840-1860م)، لتنتقل بعض آثارها إلى بيروت، من أجل إبقاء باب الطائفية والمذهبية مفتوحاً على مصراعيه.

فمنذ سنة /1856م، بدأت بيروت تتأثر بالضغط الأوروبي، مما حدا بالدولة العثمانية لإصدار "الخط الهمايوني" الذي ينص على مساواة المسلمين بالمسيحيين من حيث الحقوق والواجبات. ومنذ الفتنة الكبرى سنة /1860م، وفرنسا تحاول تكريس الانقسام الطائفي داخل بيروت التي عرفت بتسامح أهلها، حيث يشكل السنة ثم الروم الأرثوذكس فالدروز أغلبية سكانها. وكان الموارنة بمثابة الأداة التي استعملتها فرنسا لتحقيق مآربها، فلم يتورع هؤلاء عن المجاهرة بالانتماء إلى فرنسا "الأم الحنون"، وكانوا أعواناً لقناصلها، يملأون قراهم الجبلية زينة كلما زارها أحدهم. فلا غرو أن ينظر المسلمون إلى الموارنة بعين الريبة والسخط، وبخاصة بعد أن تحولت بيروت إلى مركز ولاية تحمل اسمها سنة /1887م، ورغم سكن الموارنة داخل بيروت، فقد ظل البيروتي المسلم يطلق عليهم اسم "الجبلي".

وبذلك، ظهرت بعض حوادث القتل[3]، فإذا كان القاتل مسلماً فإنه يجد في بيروت ملجأً له إذا ما قتل مارونياً، في حين يجد الماروني مأوى له في متصرفية جبل لبنان إذا ما قتل مسلماً. وهذا ما يساعد على التباعد بين بيروت والجبل[4]. فكانت حوادث القتل والشجار والمنازعات سرعان ما تتحول إلى صراع طائفي. هذا فضلاً عن أن الضواحي الجديدة لبيروت، ومعظمها

---

[1] Laorty Hadji: La Syrie la Palestine et la Judée, Ed 1853, HACHETE Livre BNF, Février 2013, P. 33.

[2], Louis Lorite Voyages dans la phenicie ,le liban et la judee 1875- 1880t: La Syrie d'aujourd'hui P. 75.

[3] كريمسكي: رسائل من لبنان، م.س، ص 123 (مذكرة 24 تشرين الثاني 1896م).

[4] يوسف الحكيم: بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، دار النهار للنشر، ط2، 1980، ص 29-30.

يتبع متصرفية جبل لبنان كانت تشهد أحياناً حوادث السلب والنهب. فإذا ما أراد البيروتي الخروج ليلاً إلى هذه الضواحي، فإنه يتجمع مع أصحابه في موكب، يركب الحمير والبغال، ويتسلح بالغدارة والخنجر والدبوس. هذا مع الإشارة إلى أن أهل الضواحي ليسوا مسؤولين عن مثل هذه الحوادث، فهم شعب بسيط جداً ونبيل، يعمل في فلاحة الأرض[1]. ومن يقوم بهذه الأعمال هم اللصوص وقطاع الطرق والخارجين على القانون. ومعظم هؤلاء يرتبطون بعلاقات خاصة مع أصحاب السلطة أو مع القناصل الأجانب. الذين نجحوا جميعاً في توسيع دائرة الخلاف بين المسلمين والمسيحيين داخل بيروت وفي ضواحيها. وهذا الأمر حدا بالسلطة إلى إنشاء مخافر للشرطة "قرقولات" (مفردها قرقول)، وأصبحت تعرف باللهجة البيروتية "كركول". فأنشئ أول مخفر للشرطة "كركول" سنة 1882م وكان أشهرها كركول العبد في طريق الشام: وكركول حبيش في رأس بيروت، وكركول الميناء في مرفأ بيروت.

كانت فرنسا تستغل حوادث الاعتداء التي يقوم بها بعض الرعاع من الخارجين على القانون ضد الأجانب والمسيحيين، فتعطي هذه الحوادث صبغة طائفية؛ مما يثير الشك حول إن كانت هذه الأعمال الفوضوية من تدبير السياسة الفرنسية نفسها، بخاصة وأن مفتي بيروت ووجهاء المدينة عمدوا إلى إستنكار هذه الحوادث التي لا تعدو كونها فردية[2]. ومما يؤكد دور السياسة الفرنسية في /1892م، لاستقبال نائب البطريرك الماروني إلياس الحويك الذي وصل مرفأ بيروت على متن مركب فرنسي صغير محاطاً بالأعلام الفرنسية، وهذا ما دعا المسلمين إلى تنظيم تظاهرة احتجاج[3].

وهكذا تحول مقر القنصل الفرنسي إلى محرك للطائفة المارونية في اتجاه معين: لا يلبث المسلمون وأن يتخذوا موقفاً مضاداً له. ففي سنة /1903م طالب الموارنة بضم بيروت إلى متصرفية جيل لبنان. فرد المسلمون بالمطالبة بضم متصرفية جبل لبنان إلى ولاية بيروت[4]، وازداد تمسك معظمهم بالدولة العثمانية، وهم لا يدرون أنها أيضاً غير بعيدة عن تأجيج حدة الصراع الطائفي في مواجهتها مع الدول الأجنبية لتضمن بقاء المسلمين إلى جانبها. ففي شهر أيلول 1903م، حصل صدام بين المسلمين والمسيحيين في محلتي المصيطبة والمزرعة سقط فيه بعض القتلى وكثير من الجرحى، وذلك إثر اغتيال سعيد الوزي البيروتي في محلة الغبيري التابعة لمتصرفية جبل لبنان. وقد أدت هذه الحادثة إلى عزل والي بيروت بالوكالة ناظم باشا (وهو والي دمشق)، وتعيين إبراهيم خليل باشا والياً على بيروت. فبادرالوالي الجديد إلى جمع المخاتير المسلمين والمسيحيين لتهدئة الأحوال. ثم قبض على إثنين من المتهمين إبان هذه الحوادث كانا داخل حدود متصرفية جبل لبنان، هما جرجي زريق وسليمان زخور، وقبض على

[1] كريمسكي: رسائل من لبنان، م.س، ص 131 (مذكرة 21 كانون الأول 1896م).

[2] Adel Ismail: Documents Diplomatiques et Consulaires, T. 15, P. 289-292.

[3] Adel Ismail: Documents Diplomatiques et Consulaires, T. 16, P. 129.

[4] المقتطف: م 28 (أيار 19036)، ص 952-954.

متهم ثالث في صيدا، هو بطرس زريق. وقد وصف الشاعر نقولا رزق الله وضع بيروت في تلك الفترة بقوله[1]:

سـلام علـى بيـروت لـولا التحـزب … وحكـام سـوء أفسـدوها وخربـوا

يقاتـل فيهـا الـبعض بعضـاً كأنـه … عـدو عليـه قتلـه الـدين يوجـب

أيرضـى هـذا ديـن عيسـى وأحمـد … وفـي كـل ديـن زاجـر ومؤنـب

ومما يؤكد دور القنصل الفرنسي، أنه أخذ يحذر سنة /1907م، من تزايد عدد المسلمين في بيروت[2] التي كانت تستقطب دائماً أبناء المدن العربية الأخرى مثل صيدا وطرابلس ودمشق وحلب وبعلبك ليستقروا بها، بعد أن أصبحت المواصلات سهلة بين بيروت وهذه المدن نتيجة مد خطوط السكك الحديدة والطرق المعبدة. وبالطبع كان القصل الفرنسي يدرك أن تاريخ بيروت منذ الفتح العربي يشير إلى أغلبية سكانها من المسلمين. ولكنه كان يريد زرع الخوف في نفوس المسيحيين. ليشجع من جهة على إقامتهم في بيروت ليتزايد عددهم، وليزيد من التصاقهم بفرنسا "الأم الحنون" حتى تبدو المنقذ الوحيد لهم من السلطنة العثمانية. لذلك، لم يعد البيروتي المسلم يفرق بين فرنسا والماروني القاطن معه داخل بيروت.



صورة تعود للعام 1905 للقطار بين مدينتي بيروت ودمشق



المصدر موقع Old Beirut.

---

(1) المقتطف: مقالة بيروت وحوادثها، م 28، ج 11، ص 953- 954 (السنة 1903م).

(2) Adel Ismail: Documents Diplomatiques et Consulaires, T. 17., P. 386.

ويقتضي الإشارة الى أنه في العام 1832 م سقطت بيروت مع سورية في أيدي القوات المصرية المنتصرة بقيادة إبراهيم باشا و بقيت حتى عام 1840 م تحت الحكم المصري. و منذ ذلك التاريخ بدأ الازدهار الحقيقي للمدينة. فبعد وقت قصير من انسحاب المصريين بدأت النزاعات بين المسيحيين اللبنانيين و الدروز و نزح منذ ذلك الحين كثير من مسيحيي جبل لبنان إلى بيروت. كما أن العديد من الأوروبيين استوطنوا هناك تحت حماية الممثليات القنصلية. و عند ما أدت الصراعات بين الدروز و المسيحيين إلى وقوع مجازر عام 1860 م نزحت أعداد كبيرة من المسيحيين المحليين من الداخل باتجاه الساحل و حدثت موجة أخرى من الهجرة الجماعية إلى بيروت. في الوقت الحاضر يقدر عدد سكان المدينة، الذين كانوا في بداية القرن لا يزيدون على بضعة آلاف، بنحو 000، 100 نسمة يشكل المسيحيون أكثر من ثلثيهم. و العلاقة بين المسيحيين و المسلمين في بيروت غير جيدة خلافا لما هو الحال في بعض مدن الشرق الأخرى التي يشكل فيها المسلمون أكثرية السكان. و وقوع صدامات دامية بين أتباع الديانتين في بيروت ليس من الحالات النادرة[1].

لم تكتف الدول: الأجنبية بالتحريض، بل كانت تهرب الأسلحة والذخائر إلى داخل بيروت، لإثارة الصدامات الدامية بين المسلمين والمسيحيين. فلا غرو أن يصادر رجال الشرطة، مائة وثمانية وأربعين مسدساً من باخرة فرنسية سنة /1904م[2]. وفي السنة التالية، عثر على مستودع للأسلحة ومواد لصنع الذخائر في بيت جرجي مزنر في بيروت[3]. وسنة /1907م، ألقت إحدى السفن حمولتها من الأسلحة في البحر خوفاً من مصادرتها، وقد تمكنت الشرطة بواسطة الغطاسين من إخراج بعض هذه الأسلحة[4]. وسنة 1908م، عثر على مائة وسبعين بندقية (مارتين) في النزل الإسرائيلي (اليهودي) على شاطئ البحر[5]. وهذا كله، يشير إلى أن ساحل بيروت لا يزال يحوي في أعماقه الكثير من الأسلحة وغيرها من الأشياء التي ترميها سفن التهريب.

تمادى الغرب الأوروبي، فأخذ يعمل على تحويل بيروت إلى "ملهى" له. فعندما زار الشيخ محمد عبد الجواد القاياتي بيروت سنة /1882م، أكد عدم وجود مراكز للمومسات، كما

---

[1] ماكس فون اوبنهايم، من البحر المتوسط إلى الخليج، م.س، ج1، ص18.
[2] ثمرات الفنون: العدد 1487، تاريخ 4 تموز 1904.
[3] ثمرات الفنون: العدد 1506، تاريخ 3 آذار 1905.
[4] ثمرات الفنون: العدد 1633، تاريخ 1907.
[5] ثمرات الفنون: العدد 1668، تاريخ 22 حزران 1908.

امتدح عدم الجهر بشرب الخمر[1]. ولكن بعد تحول مدينة بيروت إلى مركز ولاية بيروت سنة 1887م، أصبح هناك زقاق خاص ببائعات الهوى يعرف بزقاق المومسات. وبدأت الملاهي تظهر شيئاً فشيئاً لتقدم الجعة (البيرة) ثم سائر المشروبات الروحية. مع الإشارة إلى أن الجهر بشرب الخمر بدأت مع الحكم المصري (1832- 1840م)، فرفضه المسلمون، ليعود بعد تحول بيروت مركزاً لولاية تحمل اسمها سنة /1887م، بحجة اقتصاره على الأجانب. لذلك اشتهرت الحانات، في محلة المرفأ حيث قام سوق الخمامير (جمع خمارة)، وكان يتولى اليونان (الأروام) هذه المهنة، ثم تبعهم المسيحيون دون أن يتحرك والي بيروت ومعه الدولة العثمانية، فلا غرو أن يتأثر بعض المسلمين، فبدأوا بشرب الخمر.

ويقتضي الإشارة الى واقعة حدثت في يوم السبت ليلة الأحد من شهر أيلول سنة 1903م حيث اضطربت بيروت، حين تبادل أهل البسطة مع أهل المزرعة اغتيال بعضهم بعضاً في الشوارع ومنعطفات الطرق وداخل الزواريب الملتويّة وارتفع عدد القتلى آنذاك من الطرفين حتى بلغ بضعة عشر شخصاً، الأمر الذي أثار الذعر في البلد وحمل أهل القلم على كتابة المقال تلو المقال في الدعوة إلى حقن الدماء وصيانة الأرواح والحفاظ على أمن البلد وصيانة المجتمع البيروتي من عبث العابثين براحته واستقراره، ولقد كان للشعر في هذه الدعوة نصيب إذ تبارى الشعراء في ذلك الحين في نظم القصائد التي عبّروا فيها عن تفجعهم على مصير البلد ملقين تبعة ما يحدث على حكام ذلك الزمان وكذلك على الوجهاء الذين كانوا يحرضون الأشرار على ارتكاب جرائمهم[2].

وإذا كانت إصلاحيات والي بيروت عزمي بك سنة 1915م، قد أتت على سوق الخمامير، فإن نهاية الحرب العالمية الأولى سنة 1918م، عجلت بانتشار هذه الخمارات (الحانات) في الأسواق التجارية والمناطق السياحية، وانتقل سوق المومسات إلى خلف مديرية الشرطة في ساحة البرج ليعرف بشارع المتنبي، وكل ذلك بإشراف الانتداب الفرنسي.

5- جمعية الإصلاح العام في بيروت

بعد ثورة تركيا الفتاة في استامبول في العام 1908 أصبحت بيروت مركزاً رئيسياً لحركة الإصلاح السياسي في الولايات العربية من السلطنة العثمانية. وعملت هذه الحركة في اتجاه اللامركزية، بينما كانت سياسة تركيا الفتاة (جمعية الاتحاد والترقي) تقوم على أساس وضع الامبراطورية في ظل سيطرة مركزية أقوى، وعلى "تتريك" ولاياتها إلى أقصى حد ممكن. وأدى فشل الإتحاديين في حربهم مع إيطاليا، إلى نفور الرأي العام منهم، ففي الرابع والعشرين

[1] محمد عبد الجواد القاياتي: نفحة البشام في رحلة الشام، م.س، ص 151.
[2] الولي طه، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، م.س، ص135.

من شهر شباط سنة 1912م،تعرضت بيروت الى عدوان عبر القنابل المحرقة، التي أطلقتها السفن الحربيّة الإيطاليّة، حيث كانت السفينتان الحربيتان الإيطاليتان غاريبالدي وفيروشيو تنتهكان حرمة المياه الإقليميّة لمدينة بيروت، عاصمة الولاية العُثمانيّة التي وُصفت بأنها درة تاج آل عثمان، وكانت قنابل البوارج تمزق الجو بدويها إيذاناً بابتداء العميات الحربية ضد القطع البحرية العثمانية وبالتالي ضد المدينة وسكانها الآمنين. وتوالى بعد ذلك سقوط القنابل المحرقة التي كانت تستهدف إغراق "أنقرة" و"عون الله" القطعتين البحريتين العثمانيتين بدليل تعدد الأماكن التي أصيبت بهذه القنابل في جانب المستشفى البلدي ومكتب الصنائع وتلتها ثماني قنابل أخرى في نفس المكان، ولكن أضرارها كانت محدودة.

وكانت أكثر الأمكنة تضرراً من الغارة الغادرة محلة المرفأ بالذات، حيث ظهرت آثار التدمير المريع في المصرف العثماني الذي أصبح في عهد الانتداب الفرنسي "بنك سورية ولبنان" وهو قد زال من مكانه القديم، وكذلك أصيب أيضاً بنك سالونيك والمستودع الذي كانت تملكه شركة المرفأ ودائرة البسابورط (الجوازات) وقد استعملت فيما بعد مكتباً لإدارة الأمن العام اللبناني، وكذلك أصيب بنك صقال الذي كان بالبلد ومحل يوسف بك بيهم التجاري المعروف.

أما شظايا القنابل فكانت تتبعثر هنا وهناك لتحصد أرواح السكان الأبرياء الذين اندفعوا خارج محلاتهم وبيوتهم هائمين على وجوههم بين هارب من الموت المحقق أو ثائر يطلب القتال دفاعاً عن الأهل والوطن.

لقد كان منظر أهل بيروت في تلك اللحظة مثيراً للرثاء والإعجاب في آن واحد، فلقد هبوا جميعاً شيباً وشباناً متمنطقين بالبنادق التي طالتها أيديهم من الثكنات العسكرية[1].

ومن المؤسف أن عدداً كبيراً من المتحمسين تجمهروا عند رصيف المرفأ حيث أطل عليهم المرحوم الشيخ أحمد عمرو المحمصاني أحد علماء بيروت، من شرفة دائرة البسابورط (الأمن العام فيما بعد) وراح يخطب فيهم مثيراً حماستهم الدينية ومهيجاً نخوتهم الوطنية، مما أدى إلى وقوع المزيد من الإصابات والضحايا نظراً لقرب هذا الجمهور من هدف المدافع الجانية، ولوا أن مكتوبجي الولاية عبد الغني سني بك استعمل حكمته بإقناع المرحوم المحصماني بعدم الاسترسال في موقفه الخطابي غير المناسب، لكانت الكارثة أفظع وأعم.

---

[1] الولي، طه، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، م.س، ص138.

على أن حماسة الأهالي الساذجة، ما لبثت أن تحولت إلى موجة من الاضطراب والهلع فتراجعوا مبتعدين عن مدى القنابل في المرفأ وتفرقوا في الأزقة والشوارع ملتمسين سبيل النجاة بأنفسهم إلى خارج المدينة المنكوبة في اتجاه جبل لبنان ليكونوا في مأمن من الهلاك على غير طائل.

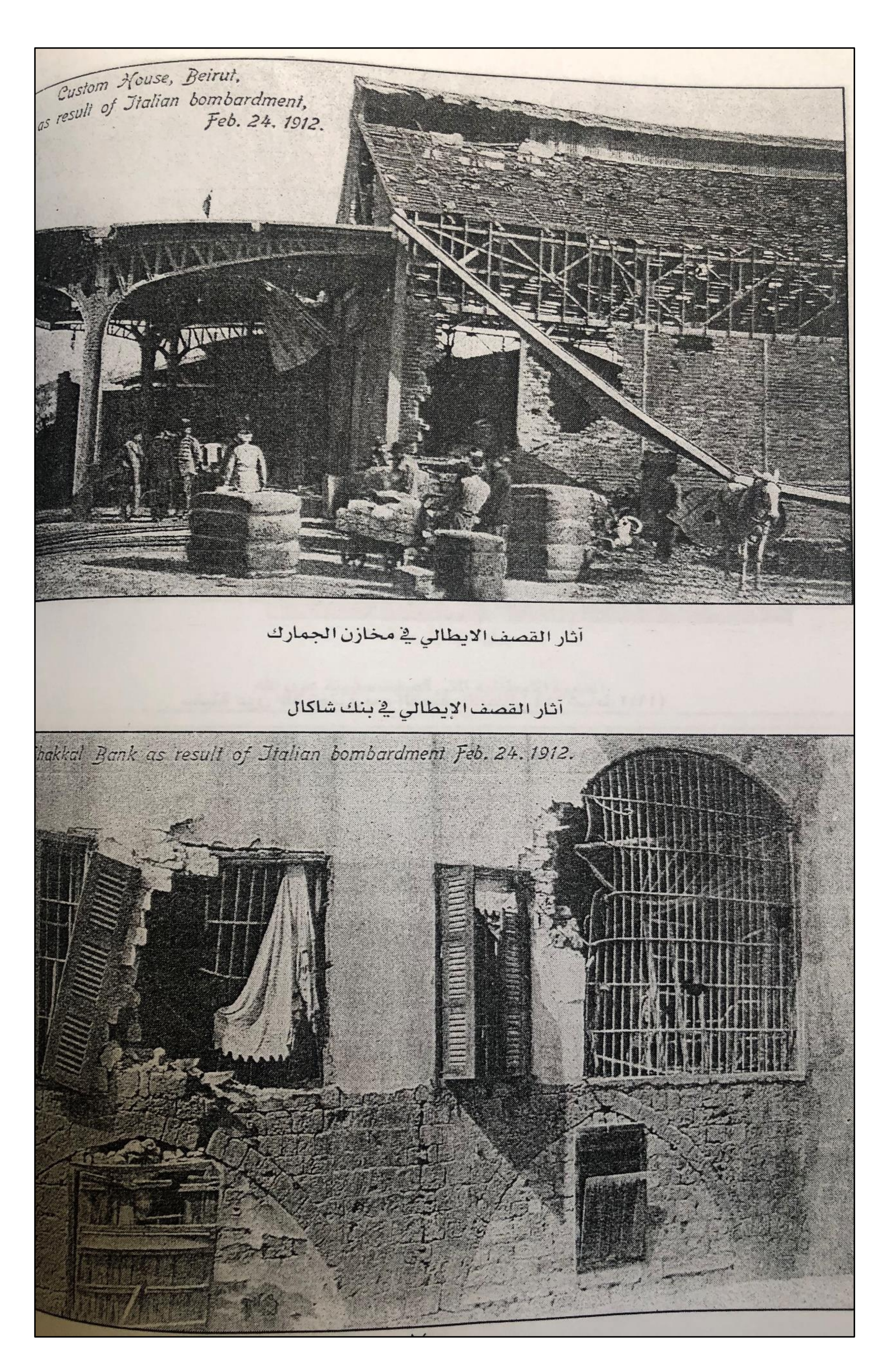
وفي هذه الغمرة من المصائب التي أذهلت أهل بيروت أظهر إخوانهم نصارى جبل لبنان من المودة والأريحية والنجدة ما جعل البيروتيين ينسون آلامهم ويلهجون بالثناء على هؤلاء الإخوان الذين وضعوا أنفسهم وبيوتهم تحت تصرف اللائذين بهم من النساء والأطفال والشيوخ العاجزين.

وبالفعل، فإن كثيراً من العائلات الإسلامية التي قصدت الأراضي الواقعة في دائرة متصرفية جبل لبنان. وجدت في بيوت إخوانهم النصارى من الترحاب والعطف والإكرام ما جعلها تنسى آلامها وجراحاتها ومصائبها وتلهج بالثناء والشكر على هذه المعاملة التي أكدت روح الأخوة الوطنية بين جميع المواطنين على اختلاف مذاهبهم وأديانهم.

أما الذين لم يتمكنوا من الأهالي من مبارحة بيروت بسبب إصاباتهم أو عجزهم أو فقرهم، فإنهم أحيطوا برعاية الوالي حازم بك أفندي ورجال الإدارة والأمن، كما أن أهل النخوة والحمية من فتوات البلد المعروفين أمثال خليل عبد العال، وأحمد الشرقاوي، ومحمود الشرقاوي، وأبو أحمد الجاك، والحاج حسين خريرو، وغيرهم من هذه الطبقة الشعبية[1] المشهورة باندفاعها للنجدة والإغاثة، فإن هؤلاء لم يقعدوا عن أداء دورهم الإنساني في تلك المناسبة الحرجة وساهموا في إبعاد النساء والأطفال عن مواطن الخطر ونقل الجرحى ودفن الضحايا[2].

---

(1) الولي، طه، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، م.س، ص138.
(2) م.ن.، ص 139.



آثار القصف الايطالي في مخازن الجمارك

آثار القصف الإيطالي في بنك شاكال

المصدر موقع Old Beirut.

وهكذا وبعد فشل العثمانيين في حربهم مع الطليان ونفور الرأي العام، إستقالت الحكومة العثمانية وتألفت وزارة حزب الائتلاف المعتدل برئاسة مختار باشا، ثم برئاسة كامل باشا (21 تموز 1912- 23 كانون الثاني 1913)[1]. وكانت السياسة الجديدة تقوم على الانفتاح والرغبة في تطبيق الإصلاحات على مبادئ اللامركزية. لذلك تألفت جمعيات إصلاحية في بيروت وحلب ودمشق والبصرة والقدس.

في القاهرة تأسس حزب اللامركزية الإدارية العثماني سنة 1912م، على يد سبعة من أحرار العرب، هم: رفيق العظم (الرئيس)، إسكندر عمون (نائب الرئيس)، حقي العظم (سكرتير عام)، محب الدين الخطيب (مساعد سكرتير)، والأعضاء الشيخ محمد رشيد رضا، شبلي الشميل، وسامي جرديني[2]. وكان هذا الحزب يهدف إلى أن تتولى كل ولاية عربية إدارة شؤونها الداخلية، وما لبث أن أنشأ تنظيماً عسكرياً سرياً له علمه ونشيده الخاص. ثم أنشأ فرعاً له في بيروت. مع الإشارة إلى أن القاهرة، المركز الرئيسي لهذا الحزب، كانت تعيش تحت الاحتلال البريطاني منذ سنة 1882م[3].

في البصرة تأسست جمعية البصرة الإصلاحية، أنشأها طالب النقيب، وهو نائب البصرة في مجلس المبعوثان العثماني. وصدرت جريدة النهضة في بغداد لتكون لسان حالها[4]. كذلك تأسست جمعية العلم الأخضر في أيلول 1912م، وأصدرت مجلة "لسان العرب" التي كان يديرها ويحررها أحمد عزت الأعظمي، وكانت تهدف إلى تقوية الروابط الوطنية بين الطلاب العرب في إستانبول.

نشطت السياسة الفرنسية في بيروت وجبل لبنان، لتشجيع تأسيس الجمعيات التي تدور في فلكها تدعيماً لمصالحها. فتأسست جمعيتان على يد الموارنة والكاثوليك سنة /1912م، الأولى "جمعية بيروت اللبنانية"[5]. التي أسسها: إميل إده، الفرد الخوري، بشارة خليل الخوري، جورج تابت، سليم الجلخ، ويوسف الجميل، وكان مقرها كنيسة مار مارون في بيروت. والثانية "جمعية النهضة اللبنانية" التي تأسست في جبل لبنان على يد آل الخازن. وكانت على صلة وثيقة بقناصل فرنسا في بيروت، وتهدفان لضم بيروت والبقاع إلى متصرفية جبل لبنان مع الحماية الفرنسية[6].

---

[1] سليمان موسى: الحركة العربية، سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة (1908- 1924)، دار النهار للنشر، 1986، بيروت – لبنان، ص30.

[2] أمين سعيد: الثورة العربية الكبرى، ج1، ص14.

[3] كانت القاهرة ملاذاً للأحرار العرب الفارين من اضطهاد الاتحاديين الأتراك حيث عمل هؤلاء من هناك على المطالبة بتحرير المناطق واستقلال العرب عن الدولة العثمانية إما استقلالاً تاماً أو استقلالاً على أساس اللامركزية.

[4] م.ن، ص240.

[5] Adel Ismail: Documents Diplomatiques et Consulaires, T. 20, P. 95.

[6] بشارة خليل الخوري: حقائق لبنانية، مكتبة فلسطين للمكتب المصورة، ج1، ص7.

اختصت بيروت بجمعية الإصلاح العام[1]، وكانت تضم 86 عضواً، منهم 42 مسلماً و42 مسيحياً واثنان من اليهود. والأعضاء المسلمون الـ 42 هم: إبراهيم المجذوب، أحمد حسن طبارة، أحمد عباس الأزهري، أحمد مختار بيهم، بشير القصار، جميل الحسامي، حسن الجندي، حسن القاضي، حسن قرنفل، حسن المدور، حسن الناطور، حسن النعماني، حليم قدورة، رشيد اللادقي، سعد الدين رمضان، سليم البواب، سليم علي سلام، سليم ياسين، شريف خرما، طه النعماني، عبد الباسط فتح الله، عبد الباسط الأنسي، عبد الحميد الغندور، عبد الرؤوف حمادة، عبد الغني العريسي، عبد القادر الجارودي، عبد القادر الدنا، عبد القادر قباني، عبد الكريم أبو النصر، عثمان النقيب، فؤاد منتس، كامل الداعوق، كامل الصلح، محمد البربير، محمد إبراهيم الطيارة، محمد المخزومي، محمد عمر نجا، محمد الفاخوري، محي الدين الخياط، مصطفى الغلاييني، نجيب العيتاني، ونصوح زنتوت.

أما الأعضاء المسيحيون الـ42، فمنهم ستة عشر من الروم اللأرثوذكس هم: إسكندر العازار، إلياس جرجي طراد، أمين ابو شعر، بترو طراد، جان تويني، جبران بطرس، جرجي باز، جرجي رزق الله، جرجي معماري، حنا الشامي، سعيد ابو شهلا، سعيد صباغة، سليم إبراهيم طراد، ميخائيل غبريل، وديع أبي رزق، ووديع فياض. وعشرة من الموارنة هم: ألبير بسول، أنطون شحيبر، جان نقاش، خليل الخوري، سليم الحلو، قيصر إده، نجيب التيان، نصري شنتيري، ويوسف الهاني. وستة عن الروم الكاثوليك، هم: حبيب فرعون، خليل زينية، رزق الله أرقش، شكري غلاييني، عبد الله خير، ونجيب دهان. واثنان عن الأرمن الكاثوليك، هما: عوني اسحق ويوسف الخياط. واثنان عن السريان هما فيليب دي طرازي ونجيب موصللي. واثنان عن البروتستانت هما: أيوب ثابت ورامز سركيس. وإثنان عن اللاتين هما: شكري عبود وموسى دي فريج. وإثنان عن الأرمن الأرثوذكس. واليهوديان هما: إبراهيم روفائيل حكيم وسليم دانا[2].

عقدت جمعية الإصلاح العام في بيروت، أول اجتماع لها برئاسة الشيخ أحمد عباس الأزهري، في يوم الخميس /12 كانون الأول 1912م. وكان القيمون على هذه الجمعية أربعة، اثنان عن المسلمين هما كامل الصلح وأحمد مختار بيهم، وإثنان عن المسيحيين هما إبراهيم ثابت وبترو طراد.

وفي الإجتماع الثاني الذي عقد في دار المجلس البلدي، يوم الثلاثاء /14 كانون الثاني 1913م، انتخبت الجمعية لجنة تنفيذية مؤلفة من 25 عضواً، اثنا عشر عن المسلمين هم: أحمد حسن طبارة، أحمد مختار بيهم، جميل الحسامي، حسن الناطور، سليم علي سلام، سليم البواب، عبد الباسط فتح الله، عبد الحميد الغندور، فؤاد حنتس، كامل الصلح، محمد إبراهيم الطيارة،

---

[1] يوسف الحكيم: بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، م.س، ص39.

[2]Adel Ismail: Documents Diplomatiques et Consulaires, T. 20, P. 21-33.

ومحمد الفاخوري. وإثنا عشر من المسيحيين، منهم خمسة عن الروم الأرثوذكس، هم: البير سرسق، وبترو طراد، وجان بسترس، وجان تويني، وجرجي رزق الله، وثلاثة عن الروم الكاثوليك هم: حبيب فرعون، وخليلي زينية، ورزق الله أرقش، وثلاثة عن الموارنة هم: ألبير بسول، وجان نقاس، ويوسف الهاني، وواحد عن البروتستانت هو ايوب تابت. وأخيراً واحد عن اليهود هو إبراهيم حكيم[1].

وأصدرت جمعية الإصلاح العام في بيروت، نشرة اليقظة وأسست نادياً في باب إدريس سمي "نادي الإصلاح".

ثم عقدت الجمعية جلستها العامة الثالثة، بإذن الحكومة، في دار المجلس البلدي، يوم الجمعة /31 كانون الثاني 1913م، ووضعت برنامجاً للإصلاح يتضمن 15 مادة[2]، أعلنته في يوم السبت /15 شباط 1913م، فقوبل بمظاهر الترحيب ليس في بيروت، بل في ولايات الشام والعراق[3].

في التوطئة التي وضعت لبرنامج الجمعية، جاء أن "الحكومة العثمانية حكومة دستورية نيابية"[4]. وجاء في المادة الأولى، أن المسائل الخارجية والعسكرية والجمارك والبريد والتلغراف وسن القوانين ووضع المكوس، منوط تقريره وإجراؤه بالحكومة المركزية. أما الشؤون الداخلية الخاصة بولاية بيروت، فمنوط تقريرها بمجلس الولاية العمومي[5]. وحددت المادة الثانية، صفة الوالي وحقوقه ووظائفه. كما حددت المواد الثالثة والرابعة والخامسة حقوق ووظائف وقرارات المجلس العمومي الذي يؤلف من ثلاثين عضواً، نصفهم من المسلمين، والنصف الآخر من غير المسلمين، ولمدة أربع سنوات[6]. أما المادة السادسة، فهي عن كيفية تعيين الوالي والموظفين. والمادة السابعة، عن تعيين الحكومة المركزية مستشارين من الأجانب لبعض الدوائر في مركز الولاية، أي مدينة بيروت. وتحدد المواد من الثامنة إلى الثالثة عشرة واردات الولاية وميزانيتها وأملاكها والأوقاف والبلديات وتأليف مجلس المستشارين[7]. واشارت المادة الرابعة عشرة إلى أن اللغة العربية تعتبر اللغة الرسمية في جميع المعاملات داخل ولاية بيروت. وتعتبر أيضاً لغة رسمية كاللغة التركية في مجلسي النواب والأعيان[8]. أما المادة

---

[1] المقطم، عدد 7238، تاريخ 18 كانون الثاني 1913م، ص1.
[2] أحد أعضاء الجمعيات العربية السرية: ثورة العرب ضد الأتراك، ص91-99.
[3] جورج أنطونيوس: يقظة العرب، دار العلم للملايين، 1987، بيروت- لبنان، ج1، ص190.
[4] أحد أعضاء الجمعيات العربية السرية: مرجع سابق ، ص91.
[5] م.ن، ص92.
[6] م.ن، ص93-94.
[7] م.ن، ص97-98.
[8] م.ن، ص98.

الخامسة عشرة والأخيرة، فتشير إلى جعل الخدمة العسكرية لمدة سنتين فقط، وتقضى أيام السلم في ولاية بيروت.

لكن حكم حزب الائتلاف لم يدم سوى ستة أشهر، ففي 23 كانون الثاني 1913، هاجم الإتحاديون رئاسة الوزراء، فقتل وزير الحربية واضطر كامل باشا إلى الاستقالة، فعاد حزب الاتحاد والترقي للحكم، وتألفت وزارة محمود شوكت باشا[1] التي عمدت إلى خنق حركة اللامركزية، وكان في أول أعمالها أنها أغلقت الجمعيات الإصلاحية بالقوة في بيروت والمدن الأخرى[2].

عين سامي بك والياً على بيروت، في يوم الخميس /13 شباط 1913م، وذلك بعد عزل أدهم بك، فوصل بيروت في يوم الجمعة 1913م، وأخذ يستميل بعض البيروتيين، بإسناد الوظائف إليهم، كسباً للوقت في اتباع سياسة المماطلة تجاه الإصلاحات التي تطالب بها جمعية الإصلاح العام[3]. فأدرك وجهاء بيروت خطورة ما يجري، وبدأت الاستقالات الجماعية من الوظائف العامة فاستقال أربعة أعضاء من المجلس البلدي ومجلس الإدارة في بيروت في يوم الإثنين /17 آذار 1913 وهم أحمد مختار بيهم، زكريا النصولي، سليم علي سلام، ومحمد فاخوري، كما استقال أعضاء غرفة التجارة وهم: باسيل داغر، سليم الطيارة، عبد الحميد الغندور، عبد الرحمن عفرة، عبد الله بيهم، كامل علي سلام، محمد فاخوري، مصباح قرنفل، ونصوح زنتوت.

وهنا برز دور بعض المسيحيين الأعضاء في اللجنة التنفيذية لجمعية الإصلاح العام ومدى ارتباطهم بفرنسا[4]. فقد كان ستة من هؤلاء (نصف عدد الأعضاء المسيحيين) على صلة دائمة بالقنصل الفرنسي في بيروت ويدعى كوجيه، وهم يمثلون مختلف الطوائف:بترو طراد وميشال تويني عن الروم الأرثوذكس، خليل زينيه ورزق الله أرقش عن الروم الكاثوليك، يوسف الهاني عن الموارنة، وأيوب تابت عن البروتستانت، وكانوا ينفذون السياسة الفرنسية بصورة سرية داخل اللجنة التنفيذية، وما انضمامهم إلى الجمعية إلا محاولة لجذب المسلمين إلى صفوفهم.

مع التأكيد على أن بترو طراد وهو من أشهر المحامين في بيروت، كان أول من عمل لتأسيس جمعية الإصلاح العام. كما أن أيوب تابت تولى منصب سكرتير ومستشار ومدير

---

[1] سليمان موسى: الحركة العربية، م.س، ص30.

[2] م.ن، ص36.

[3] المفيد: العدد 1192، تاريخ 15 شباط 1913.

المؤيد: العدد 6910، تاريخ 18 شباط 1913.

Adel Ismail: Documents Diplomatiques et Consulaires, T. 19, P. 357-358.

[4] محمد جميل بيهم: العرب والترك في الصراع بين الشرق والغرب، المطبعة الوطنية، 1957، بيروت- لبنان، ط1، ص161.

الجمعية، وكان خليل زينية من أكثر المحرضين على الإصلاح. وهم جميعاً من المتحمسين لضم بيروت إلى متصرفية جبل لبنان تحت الحماية الفرنسية، مما يشير إلى أهمية بيروت ومسلميها بالنسبة لمتصرفية جبل لبنان التي عاشت في عزلة لا يمكن لها الحياة بدون الإنفتاح على محيطها القريب (ولاية بيروت)، والمجاور (الولايات العربية). وهذا الأمر يوضح أيضاً موقف بعض المسيحيين الإنفصالي عن الدولة العثمانية، فأخذوا يحرضون المسلمين على الثورة والتمسك بالقومية العربية، في الوقت الذي كانوا يعملون فيه سراً من أجل الإحتلال الأجنبي وبخاصة الفرنسي. وكانت القومية العربية وسيلة سهلة أنعشت قلوب بعض البيروتيين المسلمين فتمسكوا بها عن إيمان وصدق، وهم لا يدرون أن الدول الأجنبية وأدواتها من بعض المسيحيين المقيمين في بيروت، والمنتشرين ضمن خطة مرسومة في القاهرة وباريس وغيرهما من المدن العربية والأجنبية، قد وضعوهم بين خيارين لا ثالث لهما، فإما التعاون مع فرنسا سواء في باريس أو عبر القنصلية الفرنسية في بيروت، وإما قبولهم بسياسة التتريك والتعرض لبطش الإتحاديين. هذا دون أن ننكر أن بعض المسلمين تمسكوا بعروبتهم من أجل الاستقلال وليس من أجل الإحتلال الأجنبي، كما أن بعض المسيحيين أمثال سليمان البستاني نائب بيروت في مجلس المبعوثان، هم من أبرز المؤيدين لسياسة الاتحاديين، ومع تحقيق الإصلاحات في الولايات العربية في ظل الدولة العثمانية[1]. والحقيقة أن الدولة العثمانية، لم تعرف كيف تستميل مسلمي بيروت.

كانت ردة فعل الحكومة الإتحادية، أنها اصدرت قراراً يقضي باعتبار "جمعية الإصلاح العام في بيروت" غير قانونية، فحضر رجال الشرطة في يوم الثلاثاء 8 نيسان 1913م إلى نادي الجمعية في باب إدريس، حينما كانت اللجنة التنفيذية مجتمعة فيه، وبلغوا أعضاءها قرار الحكومة بحل الجمعية[2]، ومن ثم إقفال ناديها. وقد أحدث هذا الأجراء موجة من السخط، فصدرت صحف بيروت في اليوم التالي وهي لا تحمل إلا قرار الإلغاء على الصفحات الأولى محاطاً بإطار أسود، بينما تركت الصفحات الأخرى بيضاء[3].

وبعد ثلاثة أيام أقفلت المخازن التجارية في بيروت احتجاجاً على هذا القرار، وحسب جريدة "المقطم" المصرية كان المار في شوارع بيروت لا يرى إلا بعض الحوانيت الصغيرة فاتحة أبوابها، وأما المحلات التجارية الكبرى فكانت كلها مغلقة"[4].

لم تقتصر غضبة الاحتجاج البيروتية على الرد السلبي إنما تخطته إلى مطالبة والي بيروت بكر سامي بك، حسب عريضة وقعها 1300 من أعيان بيروت، بالرجوع عن قرار اعتبار الجمعية غير قانونية. وعلى الأثر أرسل الصدر الأعظم سعيد باشا، رسالة يقول فيها: "إذا

---

[1] André Mandelastam: L:e sort de l’Empire Ottoman, P. 13.

[2] جورج أنطونيوس: يقظة العرب، م.س، ص190.

[3] زين نور الدين زين: نشوء القومية العربية، دار النهار للنشر، 1986، ص99.

[4] المقطم: العدد 7312، تاريخ 16 نيسان 1913، ص12.

أراد أهالي بيروت أن يطالبوا بالإصلاح فليس لهم إلا أن يتصلوا بمجلس المبعوثان العثماني بواسطة نوابهم، فمجلس المبعوثان هو الهيئة الصالحة التي لها حق سن القوانين"[1].

إنتهجت السلطة الإتحادية سياسة العنف وتكميم الأفواه وكبت الحريات واعتقال الزعماء، "وهي سياسة محببة دائماً للسلطات التي لا تمثل الشعوب"[2]. ومن المعتقلين: إسكندر عازار، رزق الله أرقش، زكريا طبارة، سليم الطيارة، ومختار نصار[3]، وأدت هذه السياسة إلى مزيد من الاستجابة الوطنية ليس في مدينة بيروت فقط وإنما تخطتها إلى ولايات الشام(بيروت ودمشق وحلب)، ذلك اضطرت السلطة الإتحادية إلى اللجوء إلى حل وسط، حينما أطلقت سراح الزعماء المعتقلين، وأعلنت أن الإصلاحات بصورتها المطلوبة سوف تتم.

وهنا يبرز دور انكلترا في الضغط من أجل الإفراج عن المعتقلين بهدف كسب رجال الإصلاح إلى جانبيها، وبالتالي الوقوف في وجه السياسة الفرنسية[4].

6- <u>إستنتاجات:</u>

أحدثت تجارة الواردات إلى مرافئ الولاية وخاصة مرفأ مدينة بيروت تغيرات ملموسة في عادات تقاليد السكان المحليين، ليس في المدن الساحلية فحسب، بل وفي كل المدن السورية الصغيرة منها الكبيرة. لأنها دفعت السكان، إلى التخلي عن استخدام الوسائل والمواد القديمة، وإلى اعتمادهم بشكل متزايد على مواد الصناعة الأوروبية، التي كان يجري تصديرها بكثرة إلى هذه البلاد. وبدأت الفروقات الطبقية التي كانت في الماضي غير واضحة، تبرز مظاهرها بشكل واضح، نتيجة التسابق إلى استهلاك هذه المواد.

كذلك فإن التغيرات التي تمت بعد إنشاء الولاية وإتخاذ مدينة بيروت مركزا" لها، أثرت بشكل كبير على الحالة الإجتماعية وتجلى بذلك بنشوء طبقة رأسمالية مسيحية ومسلمة إرتبطت بالرساميل الأجنبية وخاصة الفرنسية.

كما أن المراة البيروتية خاضت مسار كبير في سبيل تحررها ومنها اللجوء الى التعليم خاصة لدى العائلات البيروتية الميسورة.

وكانت بيروت بحكم موقعها وبحكم نفوذ الأوروبيين فيها وبخاصة الفرنسيين، مركزا" لإنطلاق فكر عربي ينادي بخصوصية معينة ضمن حدود الدولة العثمانية والذي أخذ يتطور لاحقا"، خاصة بعد إستلام الإتحاديين للحكم في تركيا، ولاحقا" بعد نشوب الحرب العالمية

---

[1] لسان الحال: العدد 7275، تاريخ السبت 28 حزيران 1913م، ص2.

[2] جورج أنطونيوس: يقظة العرب، م.س، ص190.

[3] Adel Ismail: Documents Diplomatiques et Consulaires, T. 19, P. 409.

[4] Adel Ismail: Documents Diplomatiques et Consulaires, T. 20, P. 41-43

الأولى، ولعل الوعي الثقافي نتيجة التطور الإجتماعي ونتيجة النفوذ الأوروبي المتزايد وتأثيره على الداخل البيروتي المرتبط به إقتصاديا" ساهم في بلورة فكرة القومية العربية لاحقا" وكان لبيروت دور أساسي في نمو تلك الفكرة.

الفصل الثاني: تطور الحياة الصحية:

مقدمة:

كانت الحالة الصحية في مدينة بيروت على وجه حسن بشكل عام، فالمحجر الصحي "الكرنتينا"، الذي أنشأه إبراهيم باشا في سنة 1834م، فوق أرض تسمى الجنينة"، وذلك شرق قلعة المرفأ، وتبعد قليلاً عن جامع الخضر. وقد شرع الأمير محمود نامي في تنفيذه بمساعدة مسيو غويس الفرنسي[1]. فكان هذا المشروع من أبرز أسباب نمو المدينة وتطورها.

وكان الحجر الصحي يتألف من جناحين، الأول للملوثين الذين يتم عزلهم لمدة ثلاثين يوماً، والثاني لمعالجة المصابين الذين يعزلون لمدة أربعين يوماً أي Quaranteine بالفرنسية، ومن هنا تسميته بـ "الكرنتينا"[2]. وكان العزل يشمل المصابين من أهل بيروت، وكذلك المسافرين خوفاً من تفشي الأمراض المعدية في حال إصابتهم بها.

استطاع هذا الحجر أن يقي بيروت وبلاد الشام، طوال خمسة عشر شهراً. من الطاعون الذي كان متفشياً في استانبول وإزمير وقبرص ومصر، هي البلدان التي كانت تفد منها السفن المشحونة بالركاب والبضائع إلى مرفأ بيروت[3]. لذلك أوكل إبراهيم باشا إلى هنري غيز قنصل فرنسا، بتشكيل لجنة طبية مع قناصل الدول الأوروبية لتأمين الوقاية من مرض الطاعون. وعلى هذا الأساس كانت تغلق أبواب الحجر الصحي، ولا يسمح بدخول أحد من الخارج، وكانت الأطعمة تنقع بالخل ويمنع ارتداء الثياب الصوفية والقطنية[4]. وكانت السلطة تغلق البيت الذي تعرض للطاعون، وينقل المصاب إلى جناح المصابين، في حين تنقل عائلته إلى جناح الملوثين.

وعندما زار إدوارد وبنسون بيروت في يوم الأربعاء 4 ربيع الثاني 1254هـ/27 حزيران 1838م، ذكر أن النطاق الصحي رفع عن بيروت أو جرى إهماله، لأنه لم تقع إصابات بالطاعون منذ أسبوعين أو ثلاثة أسابيع[5].

وقد ساهمت الكرنتينا كثيراً في تخفيف الإصابة بالأمراض المعدية. فعندما تعرضت بيروت للهواء الأصفر (الكوليرا) سنة 1292هـ/1875م، لم يزد عدد المصابين عن الثلاثمائة، توفي منهم مائة وثلاثة وخمسون، بينما كثر عدد المصابين في بعض المدن الشامية[6].

---

[1] رستم، أسد، بيروت في عهد إبراهيم باشا، الكلية، ج 3، 1927، ص 132.

[2] Fouad Debbas: Beyrouth, Notre Mémoire, Paris, 2 février, 1986, P. 204.

[3] هنري، غيز: بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،.ط، ج 1، ص46 - 47.

[4] الخياط، أسعد، صوت من لبنان المطبعة الكاثوليكية، بيروت- لبنان، ط1، 1957، ص 46-47.

[5] إدوارد، روبنسون: يوميات في لبنان تاريخ وجغرافيا، منشورات وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة، بيروت- لبنان، ج1، ص73- 74.

[6] الطبيب: العدد 24 (كانون الأول 1875)، ص 12-16.

ولعب المحجر الصحي دوره في حماية المدينة من القادمين إليها عبر البحر، وفي وقاية أهلها من الأمراض والأوبئة التي تتعرض لها

وقد ساهم في تطوير الناحية الصحية، العديد من المستشفيات، فقد أنشأت الإرساليات الأجنبية المستشفى الفرنسي سنة 1302هـ/1885م، والمستشفى الأميركي سنة 1326هـ/1908م، ليعملان إلى جانب المستشفى البروسي (الألماني) الذي أنشئ سنة 1284هـ/1867م. كما أنشأت الدولة العثمانية المستشفى الحميدي سنة 1325هـ/1907م، ليعمل إلى جانب المستشفى العسكري الذي أنشئ سنة 1277هـ/1861م. وكذلك أنشئت المستشفيات الخاصة مثل مستشفى الروم سنة 1297هـ/1880م، ومستشفى ربيز سنة 1326هـ/1908م.

وتبعاً للظروف الصحية والعسكرية، فقد بدأت الدولة العثمانية بإنشاء بعض الحسته خانات في المناطق والولايات العثمانية.

وفي مدينة بيروت برز من أطباء المستشفى الحكومي العثماني الدكتور إبراهيم أفندي صافي والدكتور خيري بك، وقد وصف عبد الرحمن بك سامي في حوالي العام 1890 في كتابه "القول الحق في بيروت ودمشق" هذا المستشفى بقوله:

"توجهت مع حضرة عزتلو محي الدين بك حماده لزيارة مستشفى الحكومة السنية. فقابلنا هناك جناب الفاضل الدكتور خيري بك، نجل أحد أعيان الآستانة العلية، وأرانا مع رفقائه الأطباء غرف المستشفى ومعداته، فإذا هو كامل الترتيب، نظيف للغاية، وجميع أسرته على أحسن ما شاهدت في المستشفيات (الأسبتاليات). وكان المرضى قليلين وذلك لجودة الهواء واعتناء حضرات الأطباء. ومما زادني سروراً أنس حضرة الدكتور خيري بك، ومعاملته مع حضرت رفقائه المرضى باللطف والاعتناء والاهتمام الزائد. وبلغني أن معظم الفضل في قلة الأمراض عائد لحضرة الفاضل حمادة بك رئيس مجلس بلدية بيروت، الذي يفرغ جهده أناء الليل وأطراف النهاء مهتماً بأحوال النظافة، وإزالة ما يضر بالصحة العمومية...".

1- إنشاء المستشفيات:

أ- المستشفى الفرنسي (1302هـ/1885م)

بدأت راهبات المحبة برئاسة الأخت جيلاس، منذ سنة 1263هـ-/1847م، بإحتضان المرضى المشردين الذين هم على شفير الموت، وذلك في أقبية غير لائقة، حتى أسس ما يشبه المستشفى بإشراف الآباء اللعازاريين[1]، ضم ثمانية أسرة بعد ثلاث سنوات[2]. وخصص القسم

---

(1) Laurent de Saint- Aignan: La Terre Sainte, paris, C,DILLET Librairie 1964, P. 29.

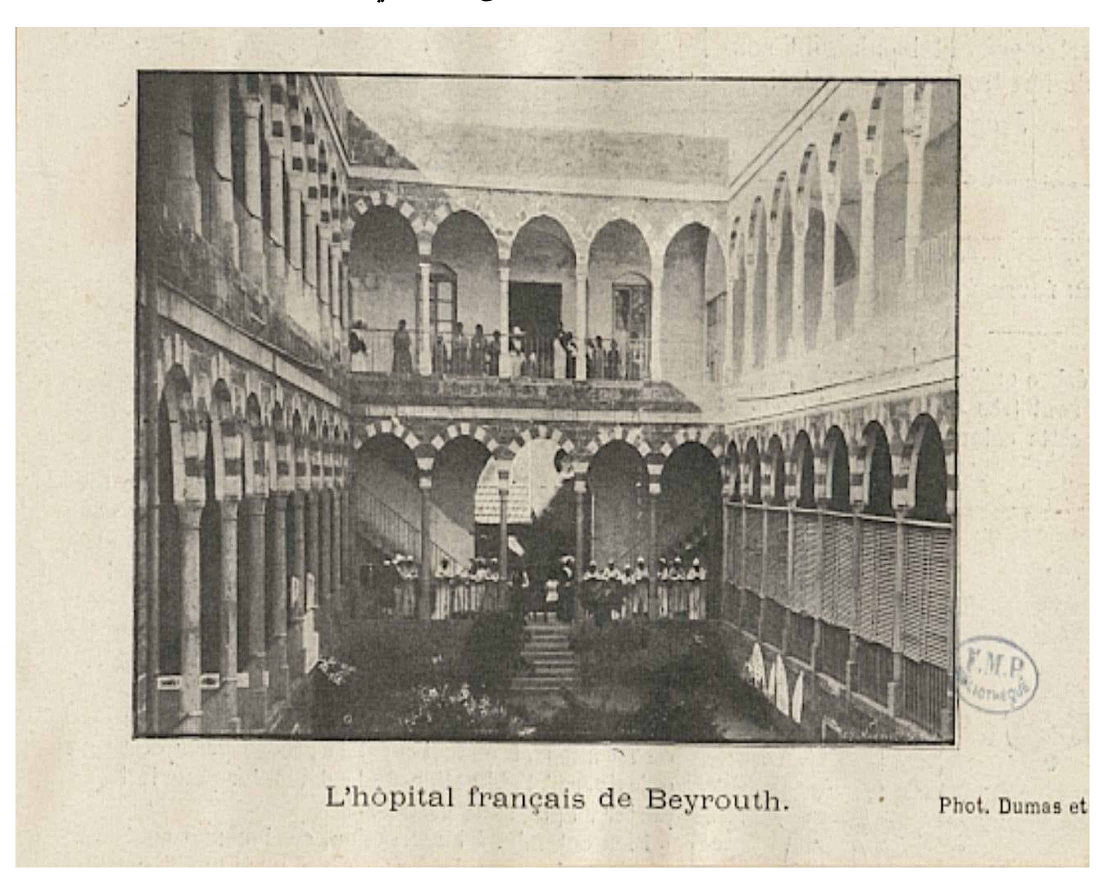
(2) M. J. Bottu de Limas: Six mois en Orient, SCHEURING Librairie, Lyon - France, 1861, P. 184.

الأكبر منه للمعاينة الخارجية[1]، بعد تأسيس قسم التمريض سنة 1276هـ-/1860م، بإشراف الدكتور سوكه. ونظراً لضيق المكان والحاجة إلى معدات حديثة، طلبت راهبات المحبة مساعدة فرنسا لإقامة مستشفى جديد.

بوشرت أعمال البناء في ذي القعدة 1298هـ/ تشرين الأول 1881م، ودشن المستشفى الفرنسي في سنة 1302ع/1885م، بإشراف الآباء العازاريين وخدمة راهبات المحبة. وبعد مرور عشر سنوات، صم المستشفى طبقتين تضمان أربعة أجنحة، يتسع ثلاثة منها لإثنين وسبعين سريراً بينما خصص الجناح الرابع للتدريس والعمليات الجراحية. ثم انتقل سنة 1330هـ/1912م إلى مبناه الجديد في طريق الشام، وقد زود بأحدث المعدات الطبية وأدخلت عليه التقنية الحديثة، بعد أن ألحق بكلية الطب التابعة لجامعة القديس يوسف (اليسوعية) [2].

تحول المستشفى إلى مستشفى عثماني، خلال الحرب العالمية الأولى، بعد أن وضعت الدولة العثمانية يدها عليه. ثم عاد لينطلق من جديد بعد إنتهاء الحرب سنة 1337هـ-/1918م بفضل دعم فرنسا، واصبح يضم مائة وعشرين سريراً، وألحق به مستوصف.

صورة الستشفى الفرنسي


L'hôpital français de Beyrouth. Phot. Dumas et

المصدر موقع old Beirut

[1] الخوري شاكر، مجمع المسرات، مطبعة الاجتهاد، بيروت، 1908، ص380-383.

[2] عبد الرحمن بك سامي، القول الحق في بيروت ودمشق، م.س، ص30.

ب- المستشفى الحميدي (1302هـ/1885م)

بدأ العمل في بناء المستشفى الحميدي سنة 1324هـ/1906م، وموقعه على الرمل بجوار مكتب الصنائع وذلك مع مكتب الصنائع والتجارة الحميدي، حيث تم افتتاحهما معاً سنة 132هـ/1907[1].

بني المستشفى على أحدث طراز، فوق أرض مساحتها ثلاثين ألف ذراع مربع، وكان يتألف من ثلاثة أقسام، الأول للذكور والثاني للإناث، وفي كل منهما ست غرف تضم خمسة وعشرين سريراً. والثالث يضم ردهة وخمس غرف يشغلها أطباء وصيادلة وموظفي المستشفى، وهو مخصص للمدنيين. وتألفت لجنة المستشفى برئاسة سلام دمشقية أحد أعضاء مجلس إدارة ولاية بيروت.

ت- المستشفى الأميركي (1326هـ/1908م)

يمثل المستشفى الأميركي المركز الطبي القديم التابع للكلية السورية الإنجيلية (الجامعة الأميركية)، حيث كان يواجه مدخلها العريض الذي تظلله الشجرة الضخمة.

ففي سنة 1320هـ/1902م، تم شراء عقار نينو أدهم الواقع جنوبي وشرقي بوابة الدائرة الطبية. ثم ضم العقار إلى آخر محاذ له. وأصبحت المساحة المعدة لإقامة المستشفى الأميركي مستقبلاً، حوالي إثني عشر ألف متر مربع. وبدأت أعمال البناء سنة 1323هـ/1905م، وكان جناح النساء أول الأبنية التي أقيمت سنة 1326هـ/1908م، بإدارة الدكتور مور. ثم افتتح جناح أمراض العين والأذن سنة 1327هـ/1909م، بإدارة الدكتور وبستر[2]. وجناح الأطفال في سنة 1328هـ/1910م. ويضم المستشفى مائتي سرير، وهو مجهز بأحدث الآلات المتطورة.

أما فيما يختص بأساتذة الطب في الكلية السورية الانجيلية (الجامعة الأمريكية فيما بعد) فإنهم كانوا يعاينون المرضى في المستشفى البروسي، كما كان طلاب الطب في هذه الكلية يتدربون في هذا المستشفى، وذلك قبل إنشاء المستشفى الخاص بهم.

وفي سنة 1970م، أقيم المركز الطبي الجديد الذي عرف بإسم مستشفى الجامعة الأميركية[3]، وذلك بعد هدم المركز الطبي القديم.

---

[1] ثمرات الفنون: العدد 1629، تاريخ 9 أيلول 1907م، ص3.

[2] لسان الحال: العدد 6151، تاريخ 20 تشرين الأول 1909م.

[3] عصام شبارو، عين المريسة ،صفحة مشرقة من تاريخ بيروت ودور وطني قومي لا يموت، دار مصباح الفكر، بيروت، 2000، ص624.

عملية بناء بوابة الجامعة الأميريكية في بيروت بنهاية القرن التاسع عشر



المصدر موقع Old Beirut.

الطاقم الطبي في الجامعة الأميريكية في بيروت خلال العام 1910 م



المصدر موقع Old Beirut.

ث- مستشفى ربيز (1326هـ/1908م)

شُيد مستشفى الدكتور نقولا ربيز سنة 1326هـ/1908م في أرض كانت تغطيها أشجار التوت وسط أعالي عين المريسة (شارع كليمنصو اليوم)، فتحولت إلى أهم المستشفيات في المشرق العربي، يؤمها المرضى من سائر الأقطار العربية ولا سيما في الحالات المرضية المستعصية.

كان الدكتور نقولا ربيز من أشهر الجراحين العامين، وذاع صيته في مختلف أنحاء العالم. ثم تولى إدارة المستشفى في ما بعد الدكتور جورج الياس بخعازي في الفترة (1938-1962م)، وهو الذي أسس مستشفى تحمل اسمه بعد إقفال مستشفى ربيز سنة 1962م[1].

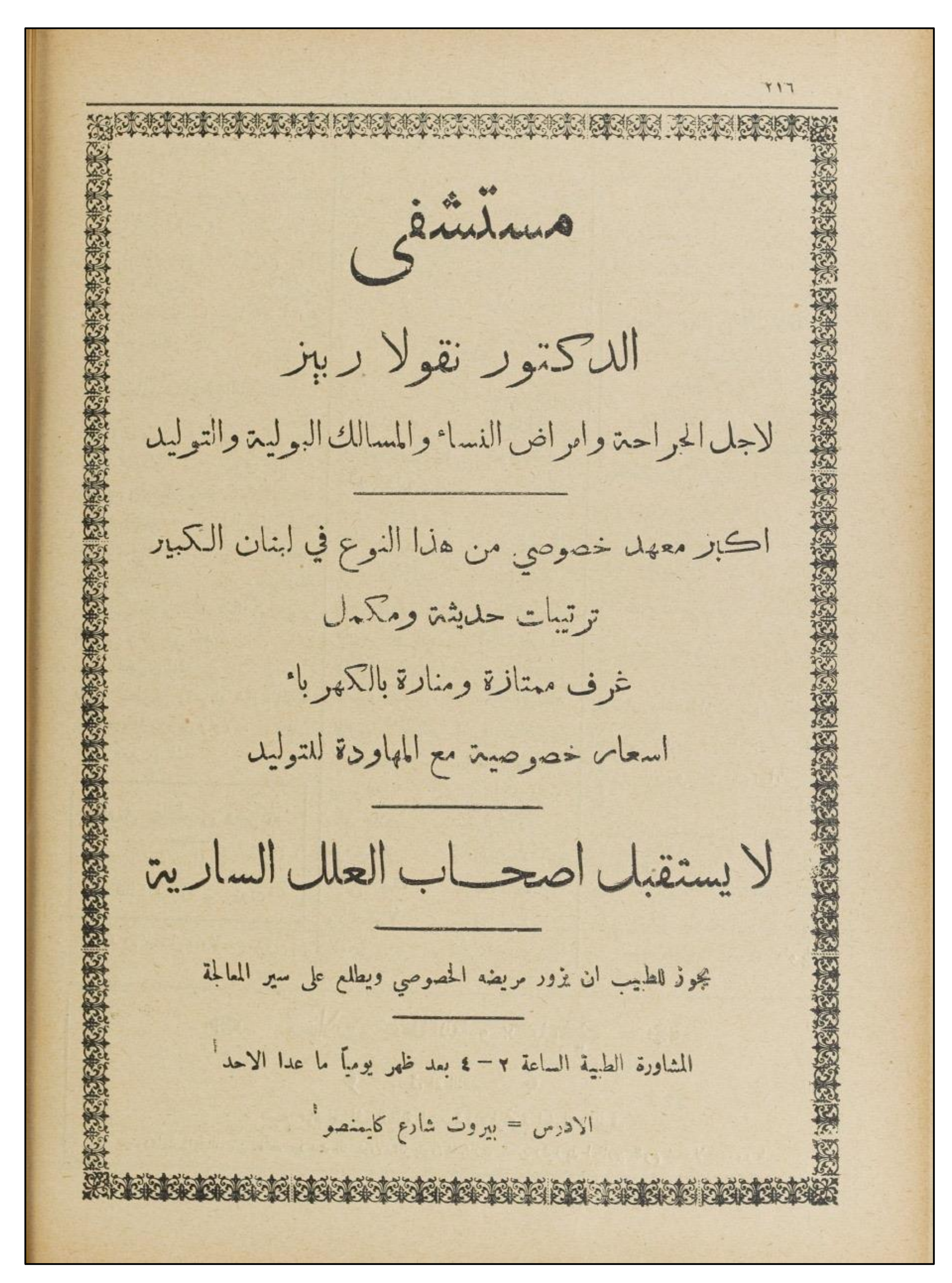
أما باقي أقضية ولاية بيروت، حيث توجد الآرياف والقرى والمزارع التي يقطنها عشرات آلاف السكان، فكانت الحالة الصحية بعيدة عما وصلت إليه مدينة بيروت، وكانت أقضية صيدا وصور ومرجعيون، والألوية التي تتبع ولاية بيروت، مثل اللاذقية وطرابلس وعكا ونابلس، لا ينعم كل منها إلا بطبيبين أو ثلاثة أطباء، وأحياناً بطبيب واحد فقط وصيدلية واحدة في مركز القضاء.

ومع نهاية القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، اصبحت بيروت بلا منازع، أكثر أجزاء السلطنة العثمانية تقدماً، وظل المجتمع البيروتي في طليعة مجتمعات الولايات العثمانية[2].

---

[1] ذكريات الدكتور جورج الياس بخعازي (مواليد 1912م) وذكريات أميل جرجس نصار.
كمال جرجي ربيز: رزق الله عهيديك الأيام يا رأس بيروت، المطبوعات المصدرة، بيروت، 1886، ص71، 153.

[2] يوسف الحكيم: بيروت ولبنان في عهد آل عثمان، م.س، ص28.



المصدر موقع Old Beirut.

ج- مستشفى البروسيي

ومن المستشفيات التي كانت قائمة في بيروت المستشفى البروسي المعروف بإسم "خستخانة بروسيا" وموقعه في رأس بيروت قرب الكلية السورية الانجيلية وهو على نفقة الألمان وأمراء مار يوحنا. وكان يقبل على هذا المستشفى الفقراء من مختلف المناطق، وكانت المعاينة مجانية، في حين كانت الراهبات تعتني بالمرضى وبنظافة الغرف. وكانت رئيسته في أواخر القرن التاسع عشر السيدة لويزا، وفي هذا المستشفى خدم العلامة الفيلسوف الدكتور فان

ديك السنين الطوال، ونال من إمبراطور ألمانيا أعلى نيشان يهبه جزاء فضله وأمانته، وكان يشاهد ويطبب في السنة أكثر من اثني عشر ألف مريض. وكذلك العلامة الفاضل الدكتور يوحنا ورتبات وذلك مجاناً لوجه الله. ويرد على محل المعالجة (كلينيك) اليومية ألوف من المرضى في السنة. وكان يطبب فيه أساتذة القسم الطبي في المدرسة الكلية[1].

وكان يحيط به حديقة واسعة فيها من كل فاكهة زوجان، وقد زرع فيها أحسن الأغراس وأنفع الأشجار، وتتخللها المياه كلها. ومحلات المرضى والغرف في المستشفى على معظم ما يمكن من النظافة والإتقان لاعتناء الراهبات الفاضلات اللواتي يتولين الخدمة فيه لوجه الله الكريم.

ح- مستشفى اليسوعيين

أما مستشفى اليسوعيين وموقعه بجانب خندق الغميق، فقد كان يديره أساتذة الطب في المدرسة اليسوعية، وكانوا يطببون أيضاً في مستشفى الراهبات اللعازاريات[2].

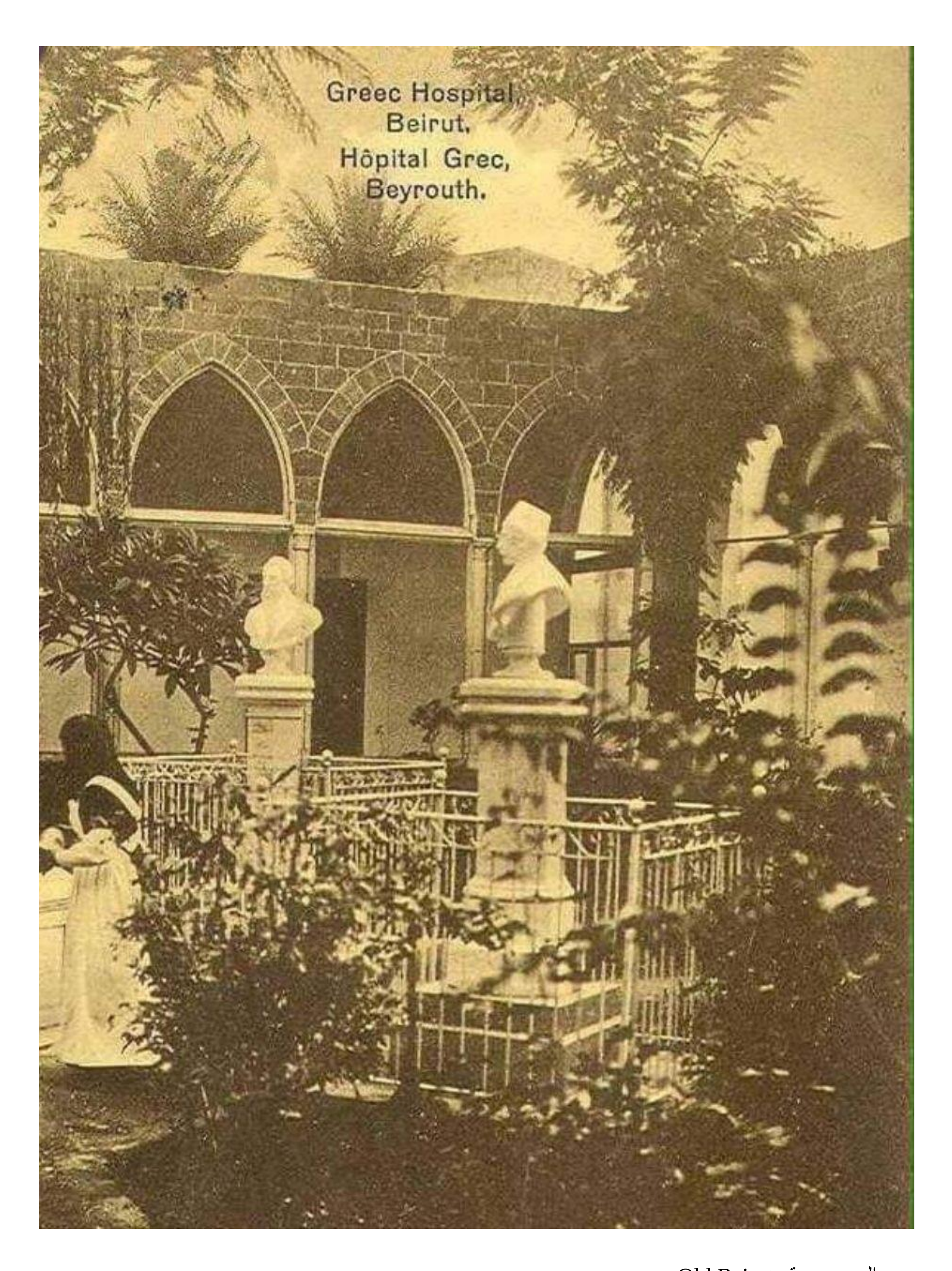
خ- مستشفى الروم

كما كان يوجد المستشفى الوطني للروم الأرثوذكس الذي أنشئ على نفقة الوطنيين بمال المحسنين من أبناء الطائفة الارثوذكسية،وقد تأسسس في العام 1878، وكان يطبب فيه مجاناً الفيلسوف الدكتور فان ديك والدكتور حبيب طبجي والدكتور سمعان الخوري وغيرهم[3].

---

[1] عبد الرحمن بك سامي، القول الحق في بيروت ودمشق، م.س، ص29-30.
[2] م.ن، ص30.
[3] م.ن، ص30.

المصدر موقع Old Beirut.



المصدر موقع Old Beirut.



المصدر موقع Old Beirut.

2- الأطباء والصيادلة:

كان أغلب الأطباء في بيروت، من أهل متصرفية جبل لبنان المقيمين في بيروت، وكان لا يحق لهم ممارسة المهنة إلا بعد اجتياز امتحان اللجنة الطبية العثمانية (الكولوكيوم).

يعتبر أديب مصطفى قدورة[1] أول طبيب مسلم في بيروت تخرج في الكلية الإنجيلية (الجامعة الأميركية) سنة 1298هـ/1881م. ثم اجتاز امتحان اللجنة الطبية العثمانية في يوم الإثنين 10 ذي الحجة 1299هـ/23 تشرين الأول 1882م، وافتتح عيادة في بناية تملكها عائلته

---

[1] أديب مصطفى قدورة: كان والده مصطفى قدورة تاجراً بيروتياً ميسوراً. فأدخله إلى الكلية السورية الإنجيلية سنة 1288هـ/1871م، وتخرج فيها سنة 1298هـ/1881م كأول طبيب مسلم في بيروت. وقد أرسى تقاليد العائلة على أساس طلب العلم والتخصص، فتخرج إبنه مصطفى قدورة كأول صيدلي مسلم في بيروت سنة 1317هـ/1899م، كما تخرج ابنه الثاني حليم قدورة كأول جراح مسلم في بيروت؛ أما ابنه الثالث نادر قدورة فكان أول اختصاصي بأشعة "رونتجن" من ألمانيا وفرنسا، وكات ابنته إبتهاج اديب قدورة أول خريجة مسلمة في كلية البنات الأميركية في زقاق البلاط؛ وهي أول من ناضل لحقوق المرأة لتصبح رئيسة الجمعيات النسائية في لبنان، ثم رئيسة الإتحاد النسائي العربي في الوطن العربي .وأما حفيدته زاهية مصطفى قدورة فتعتبر أول امرأة عربية غير مصرية تنال الدكتوراه في التاريخ من جامعة فؤاد الأول في القاهرة، وأول امرأة تتولى منصب عميد كلية الآداب في الجامعة اللبنانية (1971- 1977).

النقيب أديب قدورة: حقائق ومواقف، دار مؤسسة فكر، بيروت، 1989، ص15-27.

في منطقة عصور (السور). ثم انتقل سنة 1307هـ/1890م إلى محل إقامته القديم بجوار القشلة (السراي الكبير).

كما يعتبر ابنه حليم أديب قدورة ثاني طبيب مسلم في بيروت. وقد تخرج في معهد الطب الفرنسي (اليسوعية) سنة 1318هـ/1900م، وتابع تخصصه في الجراحة في فرنسا. ثم اجتاز امتحان اللجنة الطبية العثمانية في سنة 1321هـ/1903م، فكان أول جراح مسلم في بيروت[1]، وقد افتتح عيادة له في منطقة عصور أيضاً.

وتعتبر ماري ثابت أول طبيبة بيروتية تخرجت سنة 1319هـ/1901م، وزهية بركات أول صيدلانية سنة 1323هـ/1905م، وقد تخرجتا في الولايات المتحدة الأميركية.

توزع الأطباء على مختلف أحياء بيروت. ففي محلة القشلة قامت عيادة الدكتور أديب قدورة وكانت أصلاً في عصور، وعيادة الدكتور عبد الرحمن الأنسي وهو أحد أفراد البعثة الطبية التي أرسلتها جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية إلى مصر فتخرج طبيباً جراحا"، وفي محلة عصور قامت عيادات الأطباء: إبراهيم صافي، إبراهيم ثابت، حليم قدورة، وجرجي نصر الله. وفي محلة الغلغول: عبد الرؤوف حمادة. وفي الباشورة: تيوفيل دبانه. وفي البسطة التحتا: حسن الأسير وهو أحد أفراد بعثة جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية إلى مصر، حسن قباني، داود برباري، وسامح فاخوري. وفي المصيطبة: إياس عرمان. وفي القنطاري: وفيق بيضون. وفي رأس النبع: شاكر خوري. وفي رأس بيروت: نقولا ربيز. وفي الأشرفية: أسعد عفيش. وفي طريق الشام: إلياس شكر الله، إلياس الحاج، توفيق رزوق، وسمعان خوري. وفي طريق النهر: الفرد خوري، الياس جبارة، انطوان نقاش، وحنا حنبين. وفي الرميل، الفرد خوري. وفي مار نقولا: إسكندر بارودي، وحبيب طوبجي. وفي مار مارون: سليم جلخ. هذا فضلاً عن الأطباء: إبراهيم مدور، إسكندر رزق الله، بشارة زلزل، حبيب جبور، جنا جبور، فضل الله عسيلي، ملحم فارس، نجيب بربور، ويعقوب ملاط.

اشتهر في بيروت جماعة من الأطباء الأجانب مثل: وليد فانديك، أدمسي، شاموتان، ديرق، غراهام، كليمت، بوست، وذلك في رأس بيروت. وتيلون، ودو بران في المصيطبة، وسكبوتولي في بوابة يعقوب، وبركستوك في خندق الغميق، وبرا سقولي في ساحة عصور (السور)، وشابوتن في الأشرفية. هذا بالإضافة إلى الأطباء: بوش، لورانج البروسي، هاش، نيكر، شوفل، بلس، روبة، وييستر.

---

[1] عبد الباسط الأنسي، دليل بيروت، م.س، ص114.

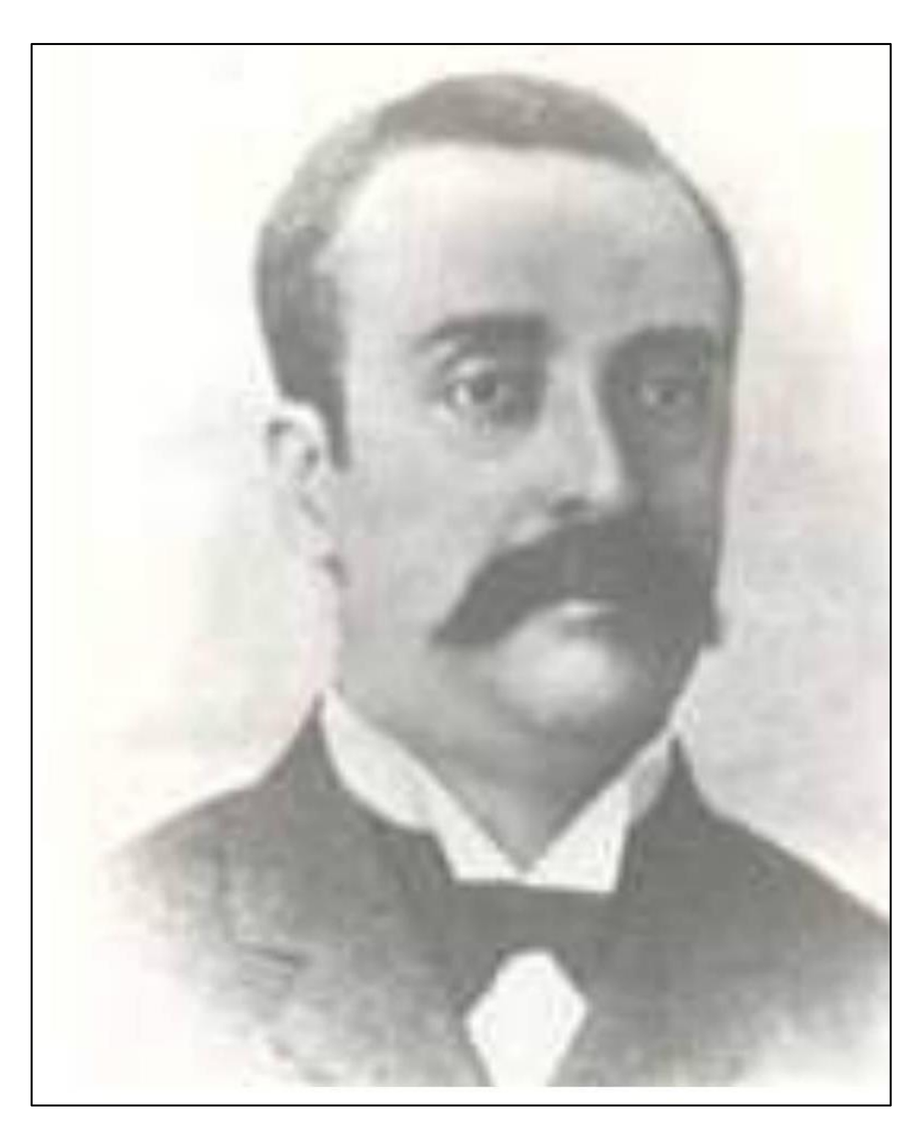
كما انتشرت في بيروت عيادات أطباء الأسنان، ففي ساحة البرج، عيادات: أسعد شر، بليوس، وفوزي رمضان. وفي طريق النهر، عيادات: أنطوان باخوس، خليل الحداد، ووديع شاكر. وفي طريق الشام، عيادة سليم حبيب.

يعتبر مصطفى أديب قدورة أول صيدلي مسلم بيروتي تخرج في معهد الطب الفرنسي (اليسوعية) سنة 1317هـ-/1899م[1]. وكانت الصيدلية تعرف بأجزاخانة أو إجزائية. وكانت تحمل أسماء أصحابها أو اسماء يختارها هؤلاء الصيادلة، وابرزهم[2]: مصطفى قدورة (المشرق)، وسليم فاخوري (الهلال)، وفيليب مطر (النحلة)، وجورج شكر الله (فرانسز)، ويوسف نصر (نصر) في ساحة عصور. وبطرس شكر الله (الشرقية)، وجورج فياض (الفياض)، وحبيب بتلوني (بتلوني)، أيوب فياض (فياض9، وحليم غرزوزي (السورية)، وفريد تلحوق (أمريقانية)، ومراد بارودي (بارودي)، وأسبيريدون وارقا (اسبيريدون)، في ساحة البرج قرب البنك العثماني. ونجيب عدراسي (المتوسطة)، ونعمة مدور (إيبوقراط)، ونعوم باخوس (باخوس)، ويوسف جميل (الجميل)، وخليل شبطيني (شبطيني)، في محلة النهر. إسكندر حلو (العثمانية)، وخالد خازن (خالد)، ويوسف بدران (النصير)، وإلياس ثابت (ثابت)، وسليمان كحيل (كحيل)، في طريق الشام. وعزت تحسين (إنكليز)، وهالس هاني (بواسيانية)، في باب إدريس. وإلياس يمين (إلياس سمين)، وعبدو وعبد الله صوراتي (النجمة)، في محلة حاووز الساعاتية، وأمين فاخوري (وطنية) واسماعيل شافعي وبديع شملي (الأمانة) في البسطا التحتا. وداوود نحول (داوود نحول)، ومسعود حميري (حميري)، وشكري عرمان (عرمان)، في ساحة الحميدية. وكذلك محمد صباح جمال (الإستقامة) في رأس بيروت وإبراهيم طعمة (الصحة) في مار الياس، والكسندر باولي (باولي) في الزيتونة، وإدوار طوقاتبلي (الرجا) في ساحة الحميدية قرب السبيل، وطنوس (عون) في زقاق البلاط، وأنطوان أبو عرب (جبل لبنان) خلف السراي.

---

[1] النقيب أديب قدورة، حقائق ومواقف، م.س، ص21.

[2] عبد الباسط الأنسي، دليل بيروت، م.س، ص118.



الدكتور أديب قدورة

المصدر موقع old Beirut

الإجزائيات - الصيدليات

صيدلية لبنان	الخواجات ملحة وعرب	على جادة الحكومة السنية
صيدلية نحول	داود أفندي نحول	غربي حديثة الحرية
صيدلية الأصولية	فرمشية الحميري	غربي حديثة الحرية
صيدلية ابروسيانيه	البروسيانية	بجانب الثكنة العسكرية
صيدلية الباردوي	مراد أفندي البارودي	في باب ادريس
صيدلية الهلال	سليم أفندي فاخوري	في ساحة السور
صيدلية المشرق	مصطفى أفندي قدورة	في ساحة السور

صيدلية الحكمة	عبد القادر أحمد افندي الطيارة	في ساحة السور
صيدلية الباريزيه	جميل أفندي رمضان ونجيب أفندي غدرامي	على جادة الثكنة العسكرية
صيدلية الباريزيه	محمد أفندي فاخوري	في سوق العطارين
صيدلية الوطنية	أمين أفندي فاخوري	في محلة البسطة التحتا
صيدلية الأمانة	بديع أفندي شملي	في محلة البسطا التحتا
صيدلية الشرقية	بطرس أفندي شكر الله	في ابتداء طريق الشام
صيدلية القديس مار يوسف	خالد أفندي الخازن	على طريق الشام
صيدلية الفرنساوية	جريس أفندي شكر الله	أمام دير العازاريه
صيدلية الاستقامة	مصباح أفندي الجمال	حاوظ الساعاتية [1].

أشهر الأطباء

الدكتور دبران	طبيب للأمراض الداخلية	محله بجانب الرمل
الدكتور كراهام	طبيب للأمراض الداخلية	رأس بيروت
الدكتور كلمت	طبيب للأمراض الداخلية	محلة القنطاري
الدكتور بوست	جراح شهير	رأس بيروت
الدكتور كوتار	جراح شهير	رأس بيروت
الدكتور حبيب طبجي	جراح شهير	محلة مار نقولا
الدكتور الياس أفندي شكر الله	طبيب وجراح	طريق الشام
الدكتور عبد الرحمن أفندي الأنسي	جراح شهير	على طريق الثكنة العسكرية
الدكتور شابتون	طبيب داية	خندق الغميق
الدكتور بركستك	طبيب داية	خندق الغميق
الدكتور مــــــور	طبيب داية	رأس بيروت
الدكتور الياس جبارة	طبيب وداية	في محلة الرميل
الدكتور سامح أفندي فاخوري	طبيب وجرّاح	محلة البسطة
الدكتور حليم أفندي قدرة	طبيب وجرّاح	على ساحة السور

---

[1] عبد الباسط الأنسي، دليل بيروت، م.س، ص118.

الدكتور حسن أفندي ألأسير	طبيب وجرّاح	محلة بيت يموت
الدكتور وفيق بيضون	طبيب وجرّاح	في محلة القنطاري
الدكتور ابراهيم أفندي مدور	طبيب	على طريق الشام
الدكتور انطون أفندي نقاش	طبيب وجرّاح	في محلة الجميزة
الدكتور حنا أفندي حنين	طبيب وجرّاح	في محلة الجميزة
الدكتور عبد الرؤوف أفندي حماده	طبيب وجرّاح	في محلة الغلغول [1].

أشهر أطباء العيون

الدكتور وبستر	طبيب عيون	في رأس بيروت
الدكتور يني باصيلا	طبيب عيون	طريق الشام
الدكتور نيقولاكي	طبيب عيون	طريق الشام
الدكتور شاكر أفندي الخوري	طبيب عيون	قرب اليسوعية القديمة
الدكتور كلش	طبيب عيون	محلة باب يعق

أشهر أطباء الأسنان

الطبيب كلادور	طبيب أسنان	في ساحة السور
الطبيب خليل أفندي الحداد	طبيب أسنان	في طريق النهر
الطبيب فوزي أفندي رمضان	طبيب أسنان	في ساحة البرج
الطبيب بشير أفندي الأسير	طبيب أسنان	في البسطة التحتا
الطبيب نجيب أفندي فياض	طبيب أسنان	بجانب كنيسة السريان
الطبيب أسعد أفندي الشر	طبيب أسنان	طريق النهر
الطبيب بلوس	طبيب أسنان	في محلة السور
الطبيب سليم أفندي حبيب	طبيب أسنان	في طريق الشام [2].

---

[1] عبد الباسط الأنسي، دليل بيروت، م.س، ص116.
[2] م.ن، ص117.



عيادة الدكتور نيقولاكي أحد أطباء امراض العيون في بيروت العثمانية

المصدر موقع Old Beirut.

3- انتشار الكوليرا (1320هـ/1902م) والتيفوئيد (1328هـ/1910م)

على الرغم من تأسيس المستشفيات الأجنبية والرسمية الخاصة الأهلية، وتخريج عدد كبير من الأطباء والصيادلة، إلا أن بيروت تعرضت لانتشار الأوبئة والأمراض المعدية التي كانت تنتشر بسرعة لتحصد العشرات.

ففي سنة 1320هـ/1902م انتشر الكوليرا "الهواء الأصفر" الذي حصد الكثيرين من مسلمي ومسيحيي بيروت. وفي سنة 1328هـ/1910م، انتشرت حمى التيفوئيد نتيجة الإهمال وعدم النظافة، وقد عمّ بلاؤه بين البيروتيين حتى كان الناس يموتون زرافات ووحداناً بهذا الداء الخبيث نتيجة الإهمال وعدم الوقاية وانعدام النظافة في البلد، وقد نظم الشاعر المهجري الساخر أسعد مخايل رستم بهذه المناسبة قصيدة أودعها انطباعاته عن حالة البيروتيين تحت وطأة هذا المرض الذي دخل إلى أكثر بيوتهم ولم يغادرها إلا بعد أن أخرج منها عشرات الضحايا من الكبار والصغار والنساء والأطفال، وفي ما يلي مختارات من قصيدة أسعد مخايل رستم الذي

أرّخ الوباء المذكور على طريقته في الانتقاد الساخر الذي وجهه بهذه المناسبة إلى حكّام ذلك الزمان، قال هذا الشاعر تحت عنوان (التيفوئيد وبيروت).

أصداعٌ أم انحلال شديد ... فكلا الحالتين التيفوئيدُ
فنمْ، ولا تدع للعلاج ... طبيباً إنما عندك الدواء المفيدُ
هو أن تكْدِش الفراش ... وقبل الشهر والنصف لا يجوز القعودُ
فاضطجاع على الفراش محل ... وسكون وإن تشاء محمودُ
غير أن الحمّى تروح وتأتي ... فنزول طوراً، وطوراً صعودُ
وإذا زادت الحرارة في البطن ... فبالثلج يلزم التبريدُ
وإذا ما أكلت خبزاً ولحماً ... وأرزّاً فقد تموت البعيدُ
والطعام المفيد شيئان ... ماء وحليب، عليهما لا مزيدُ
والتيفوئيد حاكم مستبدٌّ ... فوق بيروت ظله ممدودُ
فطاب فيها له المناخ فما ... ينفعك يؤذي بأهلها المقرودُ
كيف يرجى من الرئيسين ... والأعضاء، وما لديهم نقودُ
ولتنظيف ذي الشوارع ... لامكنس عندهم ولا مجرودُ
وفريق من الأهالي مصّر ... بمصاري الرسوم، ليس يجودُ
وعلى ذكر قوة المال أروي ... رفعت للسلام منه بنود
واحتراماً للحصن حيته منه ... طلقات، من دونهم الرعود
قال للجند قائد الحصن غيظاً ... لم تردوا السلام، ما المقصود!
فأجابوا: أسباب ذلك شتى ... أولاً، ليس عندنا بارود

قال: لا تذكروا البقية فالأول يكفي لعذركم يا جنود

هذه حال شبينا عليها ... وعيها شيبنا، ونحن قعود
لم تزل تهضم الحقوق وما فينا ... غيور، عن الحقوق يذود
لا تبالي ما دام حظ ودامت ... سالمات على الجسوم الجلود
جر إهمالنا علينا انحطاطاً ... وانحطاطاً مع الزمان نزيد
ولكننا نخشى السقوط ولكن ... لا يعيب المصفاة (بخش) جديدٌ[1]

[1] الولي، طه، بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، م.س، ص135-136.

4- إستنتاجات:

تشاركت عدة عوامل في نهضة بيروت الصحية، وقد بدأت تلك النهضة إبان فترة الوجود المصري في لبنان، لتبلغ ذروتها بعد إعلان مدينة بيروت مركزا" لولاية تحمل نفس الإسم، ولعل أول تلك العوامل هي وجود العنصر الأجنبي المتمثل بالإرساليات التي لم تكتف بإنشاء مدارس بل إمتد لإنشاء مستشفيات ساهمت في تطوير الحالة الصحية نتيجة نقل الخبرات الأجنبية في مجال الصحة الى الداخل البيروتي، كما ساهمت الطبقة الرأسمالية البيروتية في تطوير تلك الحالة الصحية والمساهمة في إزدهارها نتيجة إنشاء المستشفيات المحلية كما نتيجة إقبال العديد من أهالي بيروت من المسيحيين والمسلمين على الدراسة في مجال الإختصاصات الطبية، وكان لافتا" إقبال المسلمين من الطبقة الميسورة على الدراسة في الخارج في المجالات الطبية كافة والعودة لنقل تلك الخبرات وإستثمارها في الداخل البيروتي.

كما ساهم العثمانيون في تطوير الحالة الطبية أيضا" وقد يكون مرد ذلك الى المنافسة مع الأوروبيين خاصة إبان فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني وصراعه مع الأوروبيين، كما كان لألمانيا مساهمة في تطور الحالة الصحية منذ ما قبل إندلاع الحرب العالمية الأولى نتيجة الصراع الدولي القائم حينها وتحول الشرق لساحة صراع فيما بين القوى الدولية، وتحول بيروت الى نقطة صراع دولي بحكم موقعها وبحكم المطامع الفرنسية وتوسع النفوذ الفرنسي.

ورغم التطور الطبي الذي عرفته المدينة فإن الأمراض والأوبئة فتكت بالكثيرين من أهلها، ليس بسبب تراجع الحالة الطبية، إنما لأن تلك الأوبئة لم يكن الطب قد توصل بعد لمكافحتها.

الفصل الثالث: المشاريع المصرفية

مقدمة:

استفادت مدينة بيروت من كونها مركز ولاية بيروت، فقامت المشاريع لتحسينها وتطويرها، بدءاً من تأسيس المصارف الأجنبية والمحلية، إلى إنشاء الشركة العثمانية لمرفأ بيروت، وتنوير المدينة بالغاز. فضلاً عن افتتاح سكة حديد بيروت- دمشق، وتسيير الترامواي الكهربائي داخل المدينة، بعد توسيع ورصف الطرقات، واستخدام البرق والهاتف، وإنشاء مدرسة وحديقة الصنائع.

وكان مشروع توسيع مرفأ بيروت، الذي إنجز في العام 1893، وفي الوقت نفسه، أنشأت سكة الحديد بين بيروت ودمشق. سببا" في أن مدينة بيروت لم تعد مجرد مرفأ، بل أصبحت أيضاً "عاصمة اقتصادية لجبل لبنان من خارجه وبوابة سورية، وأخذت تتجاوز وظيفتها المرفئية تحديداً والتجارية كذلك؛ إذ دفع نمو تجارتها إلى ظهور قطاع جديد وهو قطاع الخدمات الذي ما إن سُجل انطلاقه حتى بدأت المصارف الأوروبية تفتح فروعاً في بيروت، وأُنشأت في ساحة العاصمة مكاتب للنقل والتأمين والخدمات". وعلى عكس إزمير والإسكندرية، لا يمكن قصر أسباب تطور بيروت الاقتصادي على نشاط القناصل والتجار الأوروبيين؛ إذ كان لطبقة رجال الأعمال المحليين في المدينة دورهم في ذلك النشاط، واستئثارهم بقسم من التجارة الأوروبية، فتحول أعيان المدينة إلى أعمال التجارة وأثروا منها [1].

وقد أدت بيروت دوراً في استيراد البضائع الأجنبية، ففاقت واردات مرفئها وصادراته مثيلاتها في مرفأ إسكندرونة.

والحقيقة فإن التطور الاقتصادي الذي أصاب المدينة لفت الأنظار إليها وخولها أن تكون المقر الرسمي لولاية جديدة عرفت باسم "ولاية بيروت".

كانت بيروت مركزاً لجذب الأوروبيين، فكان يقطنها من الأجانب ألفان وسبع مائة واثنان وأربعون شخصاً في عام 1897، مع الإشارة الى أن دور بيروت التجاري أتاح في المقابل بروز العائلات المسيحية؛ فـــ "بحلول منتصف القرن التاسع عشر، تفوق التجار المسيحيون على منافسيهم الأوروبيين والمسلمين. وإضافة إلى التجارة، كان الكثيرون منهم يعملون في البنوك والتأمين أو في وكالة شركات الملاحة الأجنبية، كما استثمروا في العقارات التي تؤمّن ربحاً سريعاً. وكثرة من هؤلاء التجار كانت تتمتع بحماية القنصليات. فعلى سبيل المثال، كان عدد الذين يتمتعون بحماية القنصلية البريطانية في بيروت 195 شخصا"[2].

---

[1] زيادة، خالد، المدينة العربية والحداثة، م.س، ص58.

[2] م.ن، ص86.

والواقع أن رؤوس الأموال الفرنسية في السلطنة العثمانية تمثل وحدها أكثر من ثلاثة مليارات من الفرنكات الذهبية وبالضبط 3 مليارات و 285 مليوناً و 273 ألفاً و 377 فرنكاً ذهبياً أي ما يعادل نسبة 59.01% من الدين الخارجي العام الثابت و 81.83% من الدين الداخلي أو المتحرك. وأصبحت جميع شركات المناجم العاملة آنذاك في السلطنة العثمانية ذات رؤوس أموال فرنسية كما أضحى لفرنسا نسبة 88.65% من أسهم شركات المياه و 67.97% من أسهم شركات المرافئ والأرصفة، و 46.9% في رؤوس الأموال العاملة في السكك الحديدية، و 37.77% من رساميل المصارف، و 62.82% من أسهم بقية المشاريع الأخرى.

اتخذ التغلغل الاقتصادي الفرنسي في السلطنة العثمانية طابع الغزو المالي. فمشاريع البناء الخاصة والعامة، وتجهيز وتوسيع المرافئ، وشق طرق المواصلات، ومد الخطوط الحديدية، والمشاريع البلدية الكبرى كالإنارة والهاتف والتلغراف، والنقل العام وغيرها كانت تخص كلياً أو جزئياً شركات فرنسية بالإضافة إلى إدارة الدين العمومي العثماني وإدارة حصر التبغ والتنباك وإدارة حصر الملح التي كانت بأغلبية رساميلها الساحقة للفرنسيين[1].

ويشير إتيان فلاندان إلى "أن فرنسا كانت تحتل المرتبة المالية الأولى في السلطنة العثمانية قبل حرب 1914. كما كانت تحتل المرتبة الأولى كذلك في مشاريع الأشغال العامة المنفذة والممنوحة بالتلزيم، والمرتبة الأولى أيضاً في أهمية مؤسساتها الطبية والتعليمية، وكذلك بالنسبة إلى مجموع السكان المطالبين بحمايتها وعونها". ثم يضيف "فلو جمعت المصالح المادية والمعنوية لإنكلترا وإيطاليا وألمانيا وروسيا والولايات المتحدة الأميركية كلها في السلطنة العثمانية في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى مباشرة لما بلغت جميعها حاصلاً يمكن مقارنته بمجموع مصالح فرنسا وحدها، والتي كانت تمتلك منفردة هناك 60% من مجموع الدين العمومي العثماني"[2].

علما" بأن إعتراف السلطات العثمانية بدور بيروت التجاري عبر إعلانها عاصمة لولاية جديدة تحمل اسمها وتغطي مساحة لا تقل عن 20 ألف كيلومتر مربّع تمتد من الإسكندرونة شمالاً إلى عكا ونابلس جنوباً.و قبل ذلك، كانت بيروت قد أصبحت العاصمة الاقتصادية والقضائية والتعليمية والثقافية، إن لم نقل السياسية، لجبل لبنان. فنقل مركز المتصرفية من بيت الدين إلى بعبدا ليكون أقرب إلى العاصمة الجديدة. النزاعات التجارية في جبل لبنان يجري البتّ فيها في محكمة بيروت التجارية. والعديد من القناصل والمستثمرين الأجانب والمرسلين اختاروا بيروت مركزاً إقليمياً لهم، ورفعوا مستوى تمثيلهم في المدينة. وإذا اقتصاد الحرير والهجرة يسهمان في

---

[1] ضاهر، مسعود، تاريخ لبنان الاجتماعي (1914- 1926)، دار الفارابي، بيروت- لبنان، ط3، ص28.
[2] م.ن، ص29.

نمو دور بيروت الوسيط، وازدهارها وتمكين سيطرتها على الجبل. باتت المدينة مركزاً لشركات النقل البحري والتأمين (بلغ عدد شركات التأمين فيها عشرين شركة في نهاية القرن التاسع عشر). مرابوها يقرضون أبناء القرى "الناولون" لشراء بطاقة سفرهم إلى بلاد الاغتراب لقاء رهونات وفوائد باهظة. وقبضايات المدينة ينظمون التهريب بين الولاية والمتصرفية إضافة إلى توليهم نقل المسافرين غير الشرعيين (بعدما قررت السلطنة العثمانية منع الهجرة). أما مصارف بيروت فتسلّف مربّي دود القز، وتموّل حلالات الحرير وتتولى تسلّم وتسليم عائدات المغتربين التي بلغت نحو مليون جنيه استرليني في السنة حسب تقدير لعام 1908.

1- تأسيس المصارف الأجنبية والمحلية إلى جانب فرع البنك العثماني

رافق ازدهار الحركة التجارية عبر مرفأ بيروت، تأسيس مصارف أجنبية لتسهيل استيراد البضائع وتسليف التجار ودعم المشاريع العمرانية التي تقوم بها الشركات الأجنبية. ونشأت إلى جانبها مصارف محلية صغيرة إضافة إلى استمرار فرع البنك العثماني.

وبذلك، لم يقتصر التنافس الأوروبي على الإرساليات التبشيرية، بل تعداها إلى التجارة والمال، لتقف الرساميل الأجنبية وراء قيام مصارف خاصة بها في بيروت.

أ- فرع بنك كريدي – ليونيه (1292هـ/1875م)

تأسس فرع لبنك كريدي- ليونيه[1] في سنة 1292هـ/1875م، بهدف ربط إنتاج الحرير في بيروت وجبل لبنان بمصانع الحرير في مدينة ليون الفرنسية. ثم تطور هذا الفرع فأخذ يدعم المشاريع العمرانية والإنمائية في بيروت.

وكذلك اتخذ البنك الفرنسي الإحتياطي، المؤسس في باريس سنة 1303هـ/1886م، فرعاً له في بيروت، وتعاطى بيع جميع السهم المالية بالتقسيط بإذن الحكومة الفرنسية.

ب- فرع بنك دوتشي بالستين "الألماني – الفلسطيني" (1306هـ/1889م)

كذلك أنشأ الألمان بنك دوتشي بالستين "الألماني – الفلسطيني" في فلسطين، ثم أنشأوا فرعاً له في بيروت، فضلاً عن خمسة فروع في كل من دمشق وطرابلس والقدس وحيفا. ولكنه لم يتمكن من مزاحمة البنك السلطاني العثماني أو بنك كريدي – ليونيه. وفي سنة 1335هـ/1917م، افتتح فرعين أحدهما في حلب والآخر في إسكندرون.

ج- فرع البنك الإنكليزي - الفلسطيني (1321هـ/1903م)

---

[1] بدر الدين السباعي: أضواء على الرأسمال الأجنبي في سورية (1850-1958)، دمشق، ص22.

عمد اليهود من جنسيات مختلفة للتستر وراء إنكلترة في تأسيس البنك الإنكليزي- الفلسطيني في لندن سنة 1320هـ/1902م، وبفروعه الأربعة: حيفا، يافا، القدس، ثم فرع بيروت الذي افتتح سنة 1321هـ/1903م[1]، دون أن يحظى بثقة البيروتيين الذين أدركوا علاقة هذا البنك بقيام المستعمرات الإسرائيلية[2]. وكان بنك سالونيك قد تأسس سنة 1305هـ/1888م على يد جماعة من اليهود أيضاً، وافتتح فرعاً في بيروت[3].

د- انتقال فرع البنك السلطاني العثماني إلى ساحة البرج (1310هـ/ 1892م) ثم إلى محلة مرفأ بيروت (1324هـ/ 1906م)

استمر فرع البنك العثماني في متابعة نشاطه، منذ تأسيسه قرب مرفأ بيروت سنة 1279هـ/1863م، لمواجهة منافسة المصارف الأجنبية من جهة، وصيارفة بيروت من جهة ثانية. فقد كان التجار المحليون يحصلون على القروض المالية لمدة شهرين أو ثلاثة أشهر من صيارفة بيروت، مقابل سندات أو بضائع أو رهائن من الأملاك الثابتة، وفائدة تتراوح بين 24-36 بالمئة. لذلك أسس البنك العثماني فرعاً له في بيروت، وأخذ يشجع على تأسيس المصارف المحلية، وتقديم القروض المالية للتجار مقابل فائدة 16 بالمئة لمدة ثلاثة أشهر.

وفي سنة 1310هـ/1892م، انتقل فرع البنك العثماني إلى مبنى جديد في ساحة البرج، ليعود سنة 1324هـ/1906م إلى منطقة مرفأ بيروت، حيث احتل بناية حديثة رائعة شيدت على الهندسة المعمارية الأوروبية. وهي البناية التي شغلها بنك سوريا بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وهزيمة الدولة العثمانية سنة 1337هـ/ 1918م، ليعرف في ما بعد بإسم بنك سوريا ولبنان.

أما المبنى الذي احتله فرع البنك العثماني في ساحة البرج، فقد تحول سنة 1310هـ/ 1892م إلى فندق الخديوي، ثم إلى مركز البريد، وأخيراً مركز الشرطة والمباحث. وينسب بناؤه إلى بشارة المهندس.

وتولى عدد من المديرين فرع البنك السلطاني العثماني في بيروت، مثل: ألفرد لوار (1310-1313هـ/ 1893-1896م)، روفائيل غرة (1316-1319هـ/ 1898- 1901م)،

---

[1] Adel Ismail: Documents Diplomatiques et Consulaires, T. 20, P. 161.
[2] Adel Ismail: Documents Diplomatiques et Consulaires, T. 20, P. 338-339.
[3] Ernest Weakely: Report upon the Condition, P. 624.

وماريوس هانم أوغلو (1325- 1327هـ/ 1907-1909م). وكان الدوام اليومي يبدأ من الساعة التاسعة صباحاً حتى الثانية عشرة ظهراً، ومن الساعة الثانية والنصف حتى المساء[1].

صورة للبنك السلطاني العثماني



المصدر موقع Old Beirut.

صورة للبنك العثماني بعد تعرضه للقصف الإيطالي



المصدر موقع Old Beirut.

---

(1) عبد الباسط الأنسي: دليل بيروت، م.س، ص90.

هـ المصارف المحلية

كانت المصارف المحلية، عبارة عن مؤسسات مالية تلعب دور الوسيط "قومسيونجي" في استيراد البضائع الأوروبية، حملت أسماء مؤسسيها بعد أن نالوا ترخيصاً من الدولة العثمانية، التي أخذت تمنح امتيازات لتأسيس مصارف محلية في بيروت، بهدف تقديم القروض المالية للتجار بفائدة منخفضة، حتى يتخلص هؤلاء التجار من احتكار صيارفة بيروت. كما أن الموقع المميز لمدينة بيروت كمركز رئيسي، للتصدير والتخزين واستيراد البضائع الأوروبية، فرض إنشاء العديد من المؤسسات المصرفية الخاصة[1]. وأبرز المؤسسات التي قامت بفتح بعض المصارف المحلية الخاصة بها التي حملت أسماء عشرة سنة 1306هـ/ 1889م، وهي: إبراهيم كركي، بشارة أرقش وشركاه، بشارة الخوري، جبور طبيب وشركاه، جرجس تويني وأولاده، رزق الله شقال، سرسق أبناء عم، نصر الله خياط، يوسف حزان وشركاه، ويوسف صوراتي، وفي سنة 1327هـ/ 1909م، برزت أسماء عديدة مثل: إبراهيم روفائيل حكيم وشركاه، أنطوان ونقولا جرجس طراد، باسيل الريس، بستاني إخوان، جرجي طراد وشركاه، جول جراري وشركاه، حبيب صباغ وأولاده، داغر بطرس وشركاهم، سليم جبيلي وأولاده، سليم اليازجي، سليم بنيامين خياط وشركاه، فارحي وطراب، قمر شحادة، لويس زلعوم وأولاده، مرك ودلك، وموسى طوطح وشركاه[2].

تجار القومسيون

التي بواسطتهم تجلب البضائع من أوروبا

أحمد مختار وعبد الله بيهم	في سوق بيهم
بشارة عودة وشركاه	في سوق بيهم
داعوق إخوان	في سوق أياس
بوخر وشركاه	في سوق أياس
بول ويل	في سوق أياس
شيخ ويارد	في سوق أياس
جرجي يارد وشركاه	في سوق الجميل
فرعون وعيسى وشقير	في سوق الجميل
وبر وشركاه	في سوق الجميل

[1] Ernest Weakly: Report upon the Condition, P. 6255.

[2] عبد الباسط الأنسي: دليل بيروت، م.س، ص125-126.

بيضون اخوان وشركاه	في سوق الجميل
سليم التيان	في سوق الجميل
حمال اخوان	في سوق الجميل
ليتي وشركاه	بجوار خان فخري بك
إميل نصر	بجوار خان فخري بك
غناجة وبدوي	في وكالة ثابت
لوتيكه وشركاه	في وكالة ثابت
كزمير إينار	في وكالة ثابت
جول حيراردي	في وكالة ثابت
ارتور لوشيانو	في وكالة ثابت
فنر وشركاه	بجوار جامع المجيدية
الشركة النمسوية السورية	بجوار جامع المجيدية
ميشال دبس	في وكالة الزلعوم
طوطح وبنسو	في وكالة الزلعوم
فانكهلن وشفنر	في ميناء الخشب
أرني وشركاه	في وكالة الشقال
ناي وشركاه	في وكالة بسترس
الفرد زحيل	في وكالة سيور
شماس وتيان وشركاهم	على المرفأ [1]

ومما يلاحظ أن أصحاب هذه المصارف المحلية هم جميعاً من المسيحيين الذين حققوا ثروات كبيرة، ذلك أن المسلمين كانوا لا يتعاطون النشاط الصيرفي والمصرفي، لما يدخل فيه من الفائدة على القروض وما يرافق السمسرة من ربا حرمه الإسلام.

يعتبر بنك فرعون- شيحا من أقدم المصارف المحلية، ويعود تأسيسه إلى سنة 1293هـ/1876م على يد فيليب فرعون، وهو من عائلة أصلها من دمشق، تنتمي إلى طائفة الروم، ثم نزحت إلى بيروت مع مطلع القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وتعتبر من أولى العائلات التي عملت في الصيرفة في بيروت. وقد أسس هذا المصرف مع

[1] عبد الباسط الأنسي، دليل بيروت، م.س، ص129-130.

ميشال وألبير وجوزف فرعون، وأنطوان شيحا الذي تزوج من ابنته. لذلك عرف هذا المصرف ببنك فرعون وشيحا، واتخذ مكاناً له في ساحة النجمة ببيروت. وبعد وفاة فيليب فرعون سنة 1337هـ/1918م، عاد ابنه هنري فرعون (1898-1993م) من أوروبا حيث كان يتابع دراسته لنيل الدكتوراه في الحقوق، ليتسلم رئاسة مجلس إدارة البنك ويتولى إدارته العامة طوال اثنتين وخمسين سنة.

وفي سنة 1320هـ/ 1902م، منحت الدولة العثمانية امتياز تأسيس بنك في بيروت لموسى فريج، الذي كان يقدم القروض المالية للتجار بفائدة تسعة بالمئة[1].

كانت المصارف المحلية، مرتبطة بالمصارف الأجنبية التي تتحكم بها، وتعتبر بداية نشوء النظام الرأسمالي في بيروت، على الطريقة الأوروبية، مما سمح بتغلغل الدول الأجنبية في بيروت والمشرق العربي عن طريق التجارة والمال بعد الغزو الثقافي التبشيري.

المصارف (البنوكة)

بنك العثماني	المسيو هانم أوغلو	على المرفأ غربي المجيدية
بنك انكلو	انلو فلسطين محدودة الضمان	على المرفأ غربي المجيدية
بنك نقولا طراد	نقولا وانطون جرجس طراد	على المرفأ غربي المجيدية
بنك فلسطين الألماني	دتش فلسطين بانق	في وكالة ثابت
بنك جراردي	جول جراردي وشركاه	في وكالة ثابت
بنك طراد	جرجي طراد وشركاه	غربي دار الحكومة
بنك الريس	باسيل الريس	على جادة الحكومة
بنك جبيلي	سليم جبيلي وأولاده وشركاهم	بوكالات سرسق
بنك بستاني	بستاني إخوان	بوكالات سرسق
بنك فرعون وشيحا	بستاني إخوان	بوكالات بسترس
بنك صباغ	حبيب صباغ وأولاده	في خان حمزة
بنك مرك	مرك ودلك	في سوق الجميل
بنك فارحي وطراب	فارحي وطراب	في سوق رأس المخازن
بنك طوطح	موسى وطوطح وشركاه	في سوق رأس المخازن

[1] ثمرات الفنون: العدد 1383، تاريخ 16 حزيران 1902م، ص5.

بنك حكيم	ابراهيم روفائيل حكيم وشركاه	في سوق رأس المخازن
بنك الزلعوم	الويس زلعوم وأولاده	في وكالة زلعوم
بنك اليازجي	سليم اليازجي	في وكالة زلعوم
بنك قمر وشحادة	قمر وشحادة	بجوار خان فخري بك
بنك الشقال	رزق الله الشقال	بجوار خان فخري بك
بنك خياط	سليم بنيامين خياط وشركاه	بجوار خان فخري بك
بنك داغر	داغر وبطرس وشركاهم	بجوار خان فخري بك
بنك طبيب	جبور طبيب وشركاه	بجوار خان فخري بك

2- توظيف رؤوس الأموال:

من المؤكد أن وفرة الصناعات، وكثرة رؤوس الأموال الموظفة فيها، وفقد الثقة بمقدار ما توفره الزراعة من أرباح بالرغم من وفرة إنتاجها، قد دفعا رؤوس الأموال الأوروبية للبحث عن استثمارات جديدة خارج أوطانها "Extranationaux"، وقد اتخذت هذه الحركة المالية باتجاه السلطنة العثمانية شكلاً بارزاً وسريعاً، منذ مطلع سبعينات القرن التاسع عشر[1].

ولم يكن للولاية نقد خاص بها، فنظام النقد كان بطبيعة الحال هو نظام النقد العثماني .

وكانت ولاية بيروت واحدة من الكيانات الإدارية التي توجهت إليها رؤوس الأموال. هذا الاتجاه كان مؤكداً ومشجعاً عليه من قبل قناصل الدول، والمسؤولين الأتراك أنفسهم[2]. خاصة وأن السلطة المتعطشة للمشاريع والمفلسة، كانت بحاجة للأموال، واتخذت هذه الحركة المالية شكلين من التوظيف: التوظيف الصافي البسيط، والتوظيف التعاضدي.

أ- التوظيف الصافي البسيط "Placement put et simple"

وهو توظيف يقوم به المتمولون بأنفسهم، بعيداً عن العلاقات المعقدة، في مجالات واضحة ومحددة. من هذه المجالات:

- **"التوظيف في البنك"**

فرجال البنوك والصيارفة في بيروت، كانوا يقبلون الودائع بفائدة 6,5%؛ و"البنك الامبرطوري العثماني "la Banque Impériale Ottomane"، كان يقبل الودائع لمدة تتراوح ما بين 4-6

(1) عبد الباسط الأنسي، دليل بيروت، م.س، ص128-129.

(2) جريج، الياس، ولاية بيروت (1887 – 1914) التاريخ الاقتصادي- الاجتماعي، م.س، ص673-674.

أشهر بفائدة بلغت 4% ونظراً لقلة النقود، كان المداينون يقومون بالاقراض لقاء فائدة مرتفعة السعر. ففي المدن الداخلية تراوح سعر الفائدة من 1-1,5% لمدة شهر، وفي بيروت 12% أما السعر القانوني أمام المحاكم التجارية فهو 9%[1].

ب- التوظيف بالتعاضد "Le Placement avec cooperation"

هذا النوع من التوظيف كان يتم في عدة مجالات منها:

- **في البنوك:**

وكان أصحابها يحققون فوائد لأموالهم تتراوح ما بين 15-25 بالمئة خالية من المصاريف. والأعمال التي كان يهتم بها أصحاب البنوك هي: بيع وشراء الكمبيالات على الساحات الأساسية وهي: فرنسا، انكلترا، النمسا، إيطاليا، وروسيا؛ حسم الكمبيالات الواردة من الداخل بأسعار تتراوح ما بين 7-8 % لمدة تتراوح ما بين 45-75 يوماً؛ إعطاء السلفات النقدية بكفالات مختلفة للمستلفين بفائدة تتراوح ما بين 9-10%، إعطاء عربونات لحلالي خيوط الحرير، إعطاء عربونات على البضائع المشحونة، إعطاء سلفات على البضائع المودعة. وغالباً ما ارتبطت هذه العمليات تحت ضغط الرهن بالتسييل المتجدد للبضاعة، بحيث كانت قيمتها في أغلب الأحيان تغطي بشكل واسع المبالغ المستلفة[2].

ويبدو أن منطقة شرق المتوسط، كانت مجالاً حيوياً وهاماً لتوظيف رؤوس الأموال وهذا يفسره انتشار البنوك والمصارف الكثيرة، الأجنبية والوطنية التي انتشرت في الولاية. فقبل الحرب العالمية الأولى، بلغ عددها في بيروت ما يزيد عن اثنين وعشرين بنكاً ومصرفاً.

يؤخذ من معلومات إدارة النقد العثماني أن الذهب كان موجوداً بوفرة في سوريا ولبنان قبل الحرب العالمية الأولى[3]. وبالرغم من تهديدات جمال باشا، فإن السكان الريفيين في هذين البلدين، وعلى الخصوص سكان المناطق الزراعية الغنية بالقمح في حوران وعكار والبقاع، رفضوا تداول النقد الورقي العثماني ولم يجر تطبيق إنذار جمال باشا إلا في بيروت وطرابلس وجبل لبنان، حيث كان واسع الانتشار على سواحل سوريا ولبنان. وكانت النتيجة الطبيعية لرفض التعامل بالنقد الورقي في الداخل، ولاسيما أيام الحرب، ورفض تقديم السلع الزراعية، خصوصاً الحبوب، إلا بالنقود الذهبية، أن تكدست كميات كبيرة من الذهب في الداخل السوري واللبناني.

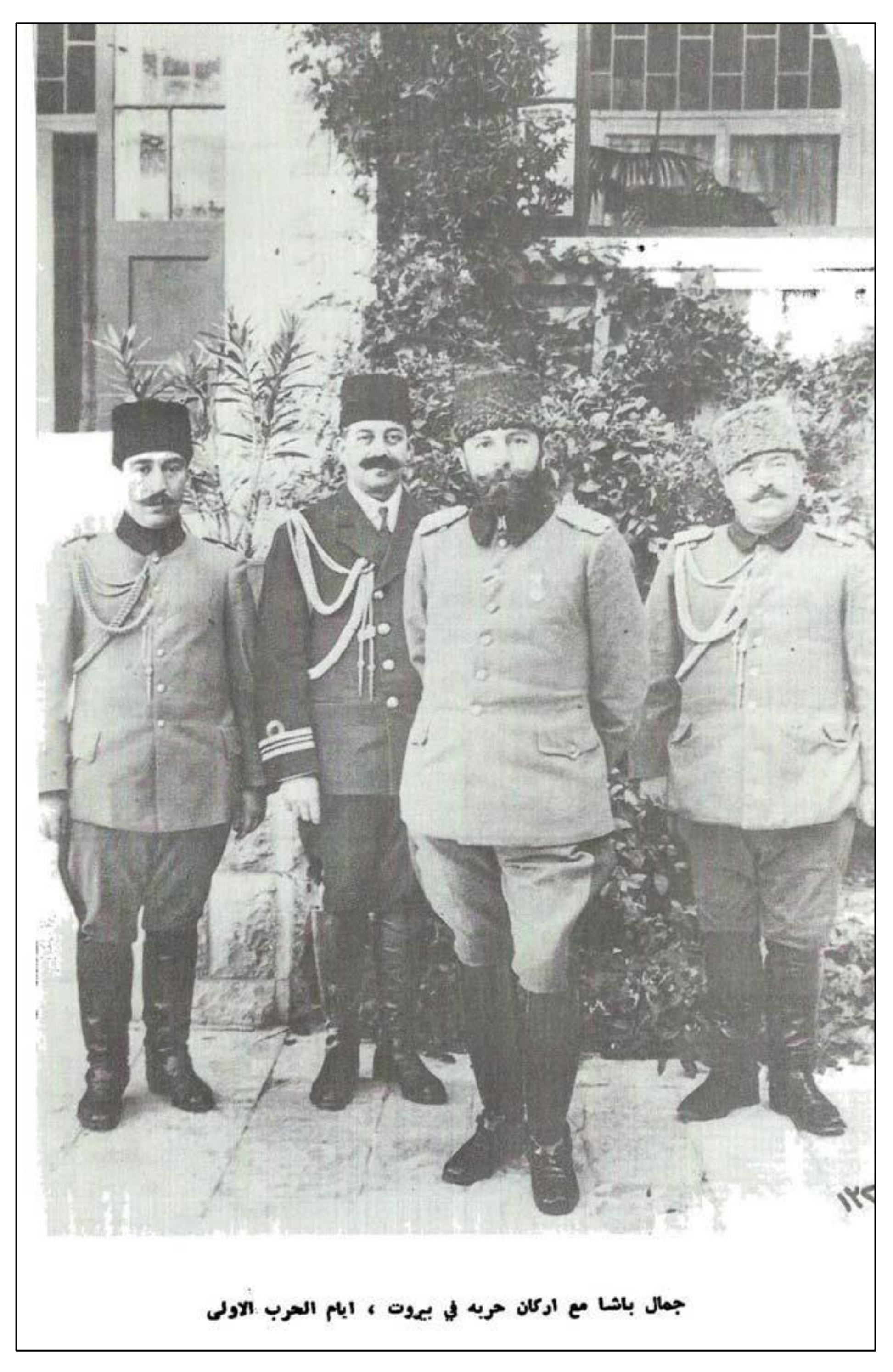
---

[1] جريج، الياس، ولاية بيروت، م.س، ص676.

[2] م.ن، ص677.

[3] Voir M. Nicolas, Questions Monétaires…, P. 12.

الدهشة هو وفرة المتداولة من القطع الذهبية التركية في كل مكان، وعلى الخصوص في الـداخل، حيث تجمع لدى الأهالي مبالغ كبيرة من بيع الحبوب". وقدر غابريل منسى المدخر الذهبي بسبعة



جمال باشا مع اركان حربه في بيروت ، ايام الحرب الاولى

المصدر موقع Old Beirut.

يلاحظ سعيد حمادة في كتابه "النظام النقدي والمصرفي في سوريا"... "الـذي يـدعو إلـى الدهشة هو وفرة المتداولة من القطع الذهبية التركية في كل مكان، وعلى الخصوص في الـداخل، حيث تجمع لدى الأهالي مبالغ كبيرة من بيع الحبوب". وقدر غابريل منسى المدخر الذهبي بسبعة

ملايين ليرة عثمانية ذهبية عام 1914 و 15-18 مليوناً عام 1918 أما جورج عشي فقدر الاحتياط الذهبي لسوريا ولبنان ما بين 11-12 مليوناً عام 1920-1922[1].

نتيجة لرفض السكان تداول العملة الورقية العثمانية، هبطت قيمتها الفعلية بشكل عمودي مما أدى إلى تأزم الوضع الاقتصادي تأزماً خطيراً. فقد انخفضت قيمة الليرة الورقية ما بين عامي 1915 و 1917 من مئة قرش ذهبي يوم صدورها عام 1915 إلى 99.75 عام 1916 إلى تسعة قروش فقط في كانون الأول 1918أي بعد شهرين فقط من دخول الحملة الأنكلو-فرنسية إلى سوريا ولبنان، في حين بقيت الليرة العثمانية الذهبية قاعدة للتداول النقدي في هذين البلدين وانتشرت أجزاؤها بكثرة فيهما. وكانت أكثر تلك الأجزاء استعمالاً: البشلك ونصف البشلك، والقرش الذهبي ونصف القرش، والمتليك ونصف المتليك، وكلها من الذهب والفضة أو المزيج المعدني معهما، ثم الباره، والخمسة أي خمس بارات، والنحاسة ونصف النحاسة، وكلها من المعدن النحاسي والمزيج يدخل فيه النحاس[2].

وبالإضافة إلى الليرة العثمانية الذهبية، كان قيد التداول أيضاً في سوريا ولبنان، النابوليونيات التي تركتها الحملة الفرنسية عام 1860 في لبنان، واللويسيات من فئة العشرين فرنكاً، وروبلات الذهب الروسية، والدولارات الذهبية التي كان يرسلها المغتربون خصوصاً، والليرات الاسترلينية الذهبية، وقطع الخمس ليرات الاسترلينية من الفضة، والليرة الإنكليزية "أم حصان" أو "ليرة مار جرجس" كما كان يسميها السكان المحليون[3].

بقي الذهب أساس التعامل النقدي في سوريا ولبنان طوال فترة الحرب العالمية الأولى. وبالرغم من كل التدابير التي اتخذتها الإدارة العثمانية فيهما، فقد فشلت تلك الإدارة في إقناع السكان بضرورة الاعتراف بقيمة الورق التركي معادلاً لأساس ذهبي. كانت الليرة العثمانية الورقية عديمة الفائدة في مجرى التداول النقدي ولم تكن مستقرة إلى سعر واحد عند دخول القوات الحليفة أرضي البلدين. فكان سعرها يراوح بين ستة قروش ذهبية و 25 قرشاً من أصل قيمة اسمية لها تبلغ مئة قرش ذهبي. وكان الصيارفة يرفضون إبدال هذه الليرة بأية قطع نقدية أخرى[4]. لذا كان من السهل على الإدارة الحليفة، بقيادة الجنرال اللنبي، تصفية العملة الورقية العثمانية وجعل استعمالها غير قانوني بعد فترة وجيزة جداً، الفترة التي تلت الحرب مباشرة. ترك اللنبي تداول الليرة العثمانية الورقية كما هو من أجل تمكين السكان من شراء أغذيتهم بعد فترة المجاعة التي مروا بها، غير أن اللنبي لم يحدد قيمة تلك العملة بل قام بإصدار ورقة النقد

---

[1] ضاهر، مسعود، تاريخ لبنان الاجتماعي، م.س، ص166- 167.

[2] م.ن، ص167.

[3] م.ن، ص168.

[4] م.ن، ص168

.

المصري أو الليرة المصرية في سوريا ولبنان إلى جانب العملة الورقية العثمانية. فأدرك الأهالي أن استخدام الأوراق العثمانية غير مضمون النتائج ولا تكفله الإدارة الحليفة فامتنعوا عن التعامل به. وبين عشية وضحاها، وجد حاملو الليرات الورقية العثمانية أنفسهم، وقد خسروا الجزء الأكبر من ثرواتهم، ومنيت تلك الليرة بانخفاض متسارع في المبادلات السرية غير الرسمية بينها وبين الذهب. وبيعت تلك الليرة مقابل 18 قرشاً ذهبياً لدى وصول الحلفاء إلى سوريا ولبنان. وسرعان ما هبطت قيمتها بعد شهر فقط إلى 9 ق.ذ ثم إلى 6 ق.ذ. أي ما يعادل 4.5 فرنكات فرنسية بينما هي تعادل أصلاً 80 فرنكاً فرنسياً. واختفت الليرة العثمانية الورقية من التداول نهائياً مع مطالع عام 1919.

زاد قرار الجنرال اللنبي، الصادر في 2 تشرين الثاني 1918، من تفاقم الوضع الاقتصادي، والبلبلة على صعيد التعامل النقدي. فقضى هذا القرار على حصر التعامل النقدي بالقطع الذهبية لجميع الدول وبالقطع الفضية الإنكليزية والمصرية والهندية وكذلك العثمانية، وبالنقد الورقي المصري بمفرده. وخص القرار كذلك هذا النقد الورقي المصري بامتياز السعر القانوني على أساس معادلته بالذهب. وتلت هذا القرار عدة قرارات أخرى حددت الضرائب والالتزامات ورواتب الموظفين على أساس القرار السابق أي الذهب والفضة والنقد الورقي المصري دون غيره[1].

تم إدخال الورق المصري معادلاً للذهب الذي يتبع تقلب الليرة الاسترلينية آنذاك واعتبر نقداً رسمياً بصورة إجبارية ليس للسكان المحليين فحسب بل للقوات الفرنسية المرابطة على ساحل سوريا ولبنان كذلك، مما سبب استياء عاماً في الداخل والخارج. فقد رفض السكان إبدال الورق بالذهب، كما رفضوا من قبل الليرة العثمانية الورقية، وكانت كارثة تلك الليرة لا تزال تعيش في واقعهم اليومي. كما احتج الفرنسيون بشدة على تلك التدابير التي أصدرها الجنرال اللنبي. ووجه كليمنصو نقداً إلى الجنرال اللنبي في رسالة بعث بها إلى رئيس الوزارة البريطانية لويد جورج بتاريخ 10 تموز 1919[2].

غير الاستعمار الأوروبي طرقات التجارة الدولية في حقبة الثورة الصناعية الثانية تغييراً جذرياً. صار محور بيروت- دمشق الممر الرئيسي للتجارة الدولية شرقي المتوسط. بالإضافة إلى توليها القسط الأوفر من تصدير الحبوب التقليدية من الداخل السوري، كانت صادرات بيروت الرئيسية هي الحرير الخام، الذي اكتسب انتاجه حوافز جديدة وشهد توسعاً كبيراً في ظل المتصرفية. في المقابل، كانت مستوردات بيروت الرئيسية هي الأنسجة القطنية والمنتجات المصنعة (التي تجمل جميعها تحت تسمية "المانيفاتورة"). الحرير الخام يصدر إلى فرنسا، فيما

---

[1] ضاهر، مسعود، تاريخ لبنان الاجتماعي، م.س، ص168.

[2] م.ن، ص169.

معظم المنتجات الصناعية ترد من انكلترا، مكتسحة أسواق جبل لبنان والداخل السوري ومتسببة في انهيار الحرف التقليدية والانتاج المحلي. إذ تطورت تجارة بيروت، بلغت مستورداتها ثلاثة أضعاف المصدرات. عام 1887 لولاية جديدة تحمل اسمها وتغطي مساحة لا تقل عن 20 ألف كيلومتر مربع تمتد من الإسكندرونة شمالاً إلى عكا ونابلس جنوباً. قبل ذلك، كانت بيروت قد أصبحت العاصمة الاقتصادية والقضائية والتعليمية والثقافية، إن لم نقل السياسية، لجبل لبنان. فنقل مركز المتصرفية من بيت الدين إلى بعبدا ليكون أقرب إلى العاصمة الجديدة. النزاعات التجارية في جبل لبنان يجري البت فيها في محكمة بيروت التجارية. والعديد من القناصل والمستثمرين الأجانب والمرسلين اختاروا بيروت مركزاً إقليمياً لهم ورفعوا مستوى تمثيلهم في المدينة. وإذا اقتصاد الحرير والهجرة يسهمان في نمو دور بيروت الوسيط، وازدهارها وتمكينه سيطرتها على الجبل. باتت المدينة مركزاً لشركات النقل البحري والتأمين (بلغ عدد شركات التأمين فيها عشرين شركة في نهاية القرن التاسع عشر). مرابوها يقرضون أبناء القرى "الناولون" لشراء بطاقة سفرهم إلى بلاد الاغتراب لقاء رهونات وفوائد باهظة. وقبضايات المدينة ينظمون التهريب بين الولاية والمتصرفية إضافة إلى توليهم نقل المسافرين غير الشرعيين (بعدما قررت السلطنة العثمانية منع الهجرة). أما مصارف بيروت فتسلف مربي دود القز، وتمول حلالات الحرير وتتولى تسلم وتسليم عائدات المغتربين التي بلغت نحو مليون جنيه استرليني في السنة حسب تقدير لعام 1908. [1].

أدى ترفيع بيروت إلى مستوى الولاية العثمانية المستقلة إلى جذب توظيفات فرنسية وأوروبية لا يستهان بها، خصوصاً في مجال البنية التحتية والمواصلات. عام 1863، أنهت شركة فرنسية- عثمانية، هي "الشركة العثمانية لطريق بيروت- دمشق"، بناء طريق للعربات تربط بين المدينتين بحيث أمكن قطع مسافة الـ 110 كيلومترات بين المدينتين في 13 ساعة. يصف جاك طوبي الطريق بأنها من أكثر المشاريع الفرنسية إدراراً للربح في عموم السلطنة العثمانية. أنشئ أول اتصال تلغرافي مع أوروبا عام 1858. وفي عام 1890، استحصلت "الشركة الامبراطورية للمرافئ والأرصفة والمخازن في بيروت" (رأسمالها 5 ملايين فرنك فرنسي) على امتياز مدته 100 عام لبناء وإدارة مرفأ جديد والإشراف على مستودعات الجمرك وعلى أعمال التحميل والتفريغ. وعندما باشر المرفأ الجديد العمل في العام 1895.

وإضافة إلى اقتصاد الحرير المتمركز في هذه الجبال، يغذي بيروت طبيعياً ويشكل رابطة اقتصادية واجتماعية قوية قامت منذ القرن السابع عشر بين الجبال والمدينة. تضاف إلى

---

[1] صليبي، كمال، بيت بمنازل كثيرة، نوفل، ط 6، 2013، ص 221.

هذا كله تطورات القرن التاسع عشر، عندما نمت بيروت لا لتصبح نقطة تصب فيها التجارة الأوروبية مع بلاد الشام فحسب، بل لتصبح أيضاً مركزاً رئيسياً للتعليم الغربي الحديث في الإمبراطورية العثمانية ومستودعاً كبيراً للأفكار الغربية المتحررة في العالم العربي[1].

وكان لإعتراف السلطات العثمانية بدور بيروت التجاري بإعلانها عاصمة لولاية جديدة تحمل اسمها وتغطي مساحة لا تقل عن 20 ألف كيلومتر مربّع تمتد من الإسكندرونة شمالاً إلى عكا ونابلس جنوباً. قبل ذلك، كانت بيروت قد أصبحت العاصمة الاقتصادية والقضائية والتعليمية والثقافية، إن لم نقل السياسية، لجبل لبنان. فنقل مركز المتصرفية من بيت الدين إلى بعبدا ليكون أقرب إلى العاصمة الجديدة. كما أن النزاعات التجارية في جبل لبنان يجري البتّ فيها في محكمة بيروت التجارية. والعديد من القناصل والمستثمرين الأجانب والمرسلين اختاروا بيروت مركزاً إقليمياً لهم، ورفعوا مستوى تمثيلهم في المدينة. وإذا اقتصاد الحرير والهجرة يسهمان في نمو دور بيروت الوسيط، وازدهارها وتمكين سيطرتها على الجبل. باتت المدينة مركزاً لشركات النقل البحري والتأمين (بلغ عدد شركات التأمين فيها عشرين شركة في نهاية القرن التاسع عشر). مرابوها يقرضون أبناء القرى "الناولون" لشراء بطاقة سفرهم إلى بلاد الاغتراب لقاء رهونات وفوائد باهظة. وقبضايات المدينة ينظمون التهريب بين الولاية والمتصرفية إضافة إلى توليهم نقل المسافرين غير الشرعيين (بعدما قررت السلطنة العثمانية منع الهجرة). أما مصارف بيروت فتسلّف مربّي دود القز، وتموّل حلالات الحرير وتتولى تسلّم وتسليم عائدات المغتربين التي بلغت نحو مليون جنيه استرليني في السنة حسب تقدير لعام 1908[2].

وقد ازدهرت في بيروت شركات التأمين كما أسلفنا القول ؛ ففي عام 1900 كان فيها خمس وعشرون شركة تمارس التأمين على الحياة وضد الحريق وأخطار النقل البحري.

العامل الرئيسي الذي يفسّر هذا التفرّد في موقع بيروت ودورها المتميّز بها هي مدينة جديدة هو نمو برجوازية محلية فيها. نجحت طبقتها التجارية في استغلال القسط الأوفر من دور المدينة في الاقتصاد الكولونيالي وفي اقتناص فرص الثروة والربح التي وفّرها. في نهاية المطاف، لعب رجال الأعمال الأوروبيون دوراً ثانوياً بالمقارنة مع أدوارهم في مرافئ مشرقية أخرى، كالإسكندرية مثلاً، فقد نجح رجال الأعمال المحليون في فرض أنفسهم بما هم ممثلو الشركات الأوروبية، وتجار التجزئة لتجار الجملة الأوروبيين، ووسطاء في سوق الحرير،

---

[1] صليبي، كمال، بيت بمنازل كثيرة، نوفل، ط 6، 2013، ص 222.

[2] طرابلسي، فواز، تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت- لبنان، ط5، 2018، ص94-95.

وسماسرة المنتجات الزراعية المحلية، إلى دورهم كمُرابين. وما أن أصبحت بيروت ولاية بذاتها، حتى انتقلت التجارة فيها من أيدي الأوروبيين إلى أيدي المحليين، يوظفون جزءاً من أرباحهم التجارية في الصناعة، وخصوصاً في حلّ الشرانق، وفي الصيرفة[1].

بسرعة، رجحت كفة القوة الاقتصادية للتجار المسيحيين، الذين سيطروا على تجارة الاستيراد الدولية فيما اضطر التجار المسلمون إلى الاكتفاء بالتجارة بين مرافئ السلطنة، وبتصدير المنتجات الزراعية من برّ الشام إلى أوروبا وبتجارة الحبوب المحلية، بفرعيها الجملة والتجزئة (مال قبّان). بالتأكيد، دخلت الأرستقراطية التجارية المسيحية في شراكات مع قرينتها المسلمة – من آل بيهم والداعوق وسلام وطبارة وسواهم – فامتلكوا المزارع الكبيرة وأداروها، وتشاركوا أيضاً في المشاريع التجارية ووكالة الشركات الأجنبية. غير أن المصالح الاقتصادية المسيحية، كانت غالبة في المدينة عشية الحرب العالمية الأولى. إذ سيطرت كلياً تقريباً على التجارة الخارجية، وقطاع المال، وتمثيل الشركات الأوروبية (وخصوصاً شركات التأمين والنقل البحري). فمن بين 26 من البيوتات المصدرة للحرير الخام، لم تكن الأسر المسلمة تملك إلا ثلاثة فقط. جميع مستوردي المنتجات المصنّعة، ومواد البناء والأدوية من المسيحيين. وبين أحد عشر تاجراً للقطن لن تلقى أكثر من تاجر مسلم واحد. المصارف المحلية تملكها كلها أسر مسيحية، باستثناء الذين لأسرتين يهوديتين. وشكل المسيحيون الأكثرية من أبناء المهن الحرة، حيث عشرة محامين مسلمين لمجموع من 81 محامياً، وطبيب أسنان واحد لمجموع من عشرين طبيب أسنان[2].

وكانت الطبقة التجارية المسيحية ذاتها تشهد عملية تمايز بين جناح أرستقراطي وآخر برجوازي. كانت الأرستقراطية التجارية الأقدم عهداً في المدينة مكونة أساساً من أسر أرثوذكسية تغطي عملياتها ولايات مختلفة من السلطنة. وصل آل أبيلا وسرسق وبسترس وطراد وفياض وجبيلي وتويني وثابت إلى المدينة في القرنين السابع عشر والثامن عشر. كانوا في الأصل "مدبّرين"، ومحصلي ضرائب ورسوم، وتجاراً ومرابين، فإستحوذوا على أملاك عقارية واسعة وراكموا الثروات حتى قبل أن تجذبهم إمكانات المدينة التجارية والمالية. أفادوا جميعاً تقريباً من حماية هذه القنصلية أو تلك، وهو امتياز حازته الدول الأوروبية بمقتضى "نظام الإعفاءات" العثماني Capitulations الشهير[3].

ومع أن الأسر الأرستقراطية التجارية عملت جزئياً في تجارة الاستيراد والمال، فإن أبناءها ظلوا في المقام الأول ملاك أرض – تتوزع ملكياتهم بين تركيا ومصر وسورية وفلسطين

[1] طرابلسي، فواز، تاريخ لبنان الحديث من الإمارة إلى اتفاق الطائف، م.س، ص100.
[2] م.ن، ص101.
[3] م.ن، ص101-102.

وبالطبع بيروت وجبل لبنان – ومصدّري حبوب إلى أوروبا. وكانت تلك الأسر تعيد توظيف جزء من أرباحها التجارية في الملكية العقارية وفي مشاريع زراعية من النمط الحديث كما في مستنقعات عمّيق (البقاع) وسهل الحولة (فلسطين). سياسياً، ارتبطت الأسر الأرستقراطية التجارية بصلات متينة بالسلطات العثمانية. وعلى الرغم من أن مذهبها الأرثوذكسي استحق لها مساعدة روسية القيصرية والحماية، فلم تتردد في شبك المصالح وعقد الصلات أيضاً مع ألمانيا وبريطانيا (اشتهر سليم بسترس بصداقته لدزرائيلي). ثم إن مصاهرتها الأرستقراطية الإيطالية والبريطانية أكسبتها الألقاب النبيلة[1].

في موازاة تلك الأرستقراطية، وأحياناً في منافسة معها، نشأت برجوازية مالية وتجارية وصناعية كانت أحدث حضوراً في المدينة، تنتمي أسرها في معظمها إلى مذهب الروم الكاثوليك وتنحدر من أصل سوري أو عراقي. وكان أبناء تلك البرجوازية أوثق اتصالاً برأس المال الأوروبي من خلال اقتصاد الحرير (بما هو مصدرو الحرير الخام، وأصحاب حلالات الشرانق، ومرابون يقرضون الفلاحين لقاء التسديد النقدي أو حصص من المحاصيل) والنشاطات المصرفية، وتجارة الاستيراد للمنتجات الأوروبية المصنعة. الأسرتان الشريكتان والمتصاهرتان، آل فرعون وآل شيحا، ممثلان نموذجيان لتلك الطبقة البرجوازية الجديدة. عام 1876 وظّف أنطون شيحا ووالد زوجته روفائيل فرعون أرباحاً طائلة جنياها من المضاربة على الحرير الخام في تأسيس شركة تجارية ومالية عرفت لاحقاً بإسم "بنك فرعون – شيحا"، هو أحد أوائل المصارف المحلية في لبنان. عام 1914، صارت شركة فرعون – شيحا أكبر شركة لحلّ الشرانق في ولاية بيروت، يسيطر فرعها التجاري على 12 في المئة من حجم صادرات الحرير الإجمالي. إلى هذا، احتكرت الشركة استيراد الفحم الحجري البريطاني (المصدر الرئيسي للطاقة لحلالات الشرانق) منذ العام 1894 تنقله سفينة الشركة الرافعة العلم البريطاني والمتنقلة بين مخازن الشركة في مرسين ويافا وبيروت[2].

وبالإضافة إلى الليرة العثمانية الذهبية، كان قيد التداول أيضاً في سوريا ولبنان، النابوليونيات التي تركتها الحملة الفرنسية عام 1860 في لبنان، واللويسيات من فئة العشرين فرنكاً، وروبلات الذهب الروسية، والدولارات الذهبية التي كان يرسلها المغتربون خصوصاً، والليرات الاسترلينية الذهبية، وقطع الخمس ليرات الاسترلينية من الفضة، والليرة الإنكليزية "أم حصان" أو "ليرة مار جرجس" كما كان يسميها السكان المحليون[3].

---

[1] طرابلسي، فواز، تاريخ لبنان الحديث، م.س، ص102.
[2] م.ن، ص103.
[3] ضاهر، مسعود، تاريخ لبنان الاجتماعي، م.س، ص168.

بقي الذهب أساس التعامل النقدي في سوريا ولبنان طوال فترة الحرب العالمية الأولى. وبالرغم من كل التدابير التي اتخذتها الإدارة العثمانية فيهما، فقد فشلت تلك الإدارة في إقناع السكان بضرورة الاعتراف بقيمة الورق التركي معادلاً لأساس ذهبي. كانت الليرة العثمانية الورقية عديمة الفائدة في مجرى التداول النقدي ولم تكن مستقرة إلى سعر واحد عند دخول القوات الحليفة أرضي البلدين. فكان سعرها يراوح بين ستة قروش ذهبية و 25 قرشاً من أصل قيمة اسمية لها تبلغ مئة قرش ذهبي. وكان الصيارفة يرفضون إبدال هذه الليرة بأية قطع نقدية أخرى. لذا كان من السهل على الإدارة الحليفة، بقيادة الجنرال اللنبي، تصفية العملة الورقية العثمانية وجعل استعمالها غير قانوني بعد فترة وجيزة جداً، الفترة التي تلت الحرب مباشرة. ترك اللنبي تداول الليرة العثمانية الورقية كما هو من أجل تمكين السكان من شراء أغذيتهم بعد فترة المجاعة التي مروا بها، غير أن اللنبي لم يحدد قيمة تلك العملة بل قام بإصدار ورقة النقد المصري أو الليرة المصرية في سوريا ولبنان إلى جانب العملة الورقية العثمانية. فأدرك الأهالي أن استخدام الأوراق العثمانية غير مضمون النتائج ولا تكفله الإدارة الحليفة فامتنعوا عن التعامل به. وبين عشية وضحاها، وجد حاملو الليرات الورقية العثمانية أنفسهم، وقد خسروا الجزء الأكبر من ثرواتهم، ومنيت تلك الليرة بانخفاض متسارع في المبادلات السرية غير الرسمية بينها وبين الذهب. وبيعت تلك الليرة مقابل 18 قرشاً ذهبياً لدى وصول الحلفاء إلى سوريا ولبنان. وسرعان ما هبطت قيمتها بعد شهر فقط إلى 9 ق.ذ ثم إلى 6 ق.ذ. أي ما يعادل 4.5 فرنكات فرنسية بينما هي تعادل أصلاً 80 فرنكاً فرنسياً. واختفت الليرة العثمانية الورقية من التداول نهائياً مع مطالع عام 1919[1].

3- إستنتاجات:

إن ظاهرة تغلغل المصارف الأجنبية كان في آخر أيام الدولة العثمانية أي في مرحلة الضعف.

علما" أن التعامل مع الدولة العثمانية كان تعاملا مع رقعة جغرافية واسعة ولهذا تزاحم الأجانب في التنافس على هذا السوق.

وقد تنوعت دواعي الاقتراض من هذه المصارف بين النزعات التغريبية عند الولاة الساعين لتقليد الغرب في المعيشة والإصلاحات، أو النزعات الاستقلالية التي دعمها الغرب لفصل ولايات الدولة العثمانية عن جسدها والاستفراد بها، فدفع أموالا باهظة في هذا السبيل، أو

---

[1] ضاهر، مسعود، تاريخ لبنان الاجتماعي، م.س، ص168 - 169.

الحاجة للإنفاق الباهظ على الجيش لمواجهة العدوان الغربي، أو محاولة البناء التحتي التي استنفذت أموالها في التصدي لمؤامرات الغرب وتكاليف ديونه.

كانت مصادر إفادة البنوك الأجنبية هي نزعات التغريب والاستقلال عند الولاة العثمانيين والتي أدت إلى إنشاء مشاريع مرتبطة بالدول الأوروبية وانتشار التبذير المالي الرسمي رغبة في تقليد الغرب.

وقد كانت الوظائف التي تقوم بها هذه المصارف منسجمة مع مصالح بلادها وليس مع توقعات العثمانيين منها ولا مع المصالح المحلية بل إنها ساهمت في تقسيم الدولة واحتلال أراضيها، وقد نالت كل دولة نصيبا من التركة العثمانية وفق سابق حضورها المالي والاقتصادي في بقاع الأراضي العثمانية، ولهذا كان استيلاء بريطانيا على العراق وفلسطين والأردن ومن قبلها مصر والسودان منسجما مع سابق وجود مصالح مالية واستثمارية فيها أو لمجرد استبعاد بقية الدول الاستعمارية المنافسة، وذلك ما ينطبق على استيلاء فرنسا على سوريا ولبنان ومن قبلهما تونس والجزائر.

رغم الضعف والتراجع كانت الدولة العثمانية في آخر أيامها ما تزال قادرة على الحد من النفوذ الاقتصادي لأية دولة أجنبية تعتدي عليها كما فعلت مع بريطانيا، وهو ما عجزت عنه دولة التجزئة فيما بعد، كما لم تواجه الدولة مصير ولاياتها التي آثرت الاستقلال عنها فسقطت في فخ الاحتلال الأجنبي بعد إفلاسها، مثل تونس (1881) ومصر (1882)، وكانت الأهمية الدولية للكيان العثماني الكبير هي التي جنبته الاحتلال الأجنبي آنذاك رغم إعلان إفلاس الحكومة العثمانية (1875).

لذلك يمكن القول، أن الازدهار العمراني والإنمائي والمالي والثقافي الذي شهدته بيروت خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي متمثلاً بالمشاريع الإقتصادية والمؤسسات التربوية والمالية، ما هو إلا غلاف خارجي براق يخفي داخله، ربط بيروت وسائر مدن المشرق العربي بالسياسة الإستعمارية الأوروبية. وهذا ما تحقق بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى سنة 1337هـ/ 1918م.

وقد تمكنت الدولة العثمانية من تحقيق فوائد جمة من الظروف المالية المتاحة أمامها ولكن سلوك الأجانب أثبت أن "التقاء المصالح" بين الدائن والمدين وهم في المدى البعيد وأن المصالح التي تحققت في النهاية هي مصالح الدائنين وحدها وتم القضاء على كل ما حقّقه العثمانيون من فوائد بنوها بأنفسهم أو بمال الأجانب (كسكة حديد الحجاز وسكة حديد بغداد وبقية مشاريع البنية التحتية) وحصل التدمير بأيدي عملاء الاستعمار وقادة التجزئة الذين عجزوا في زمن صعودهم حتى عن إنجاز ما أنجزه العثمانيون من مشاريع عملاقة في زمن الضعف والتراجع.

الخاتمة:

عاشت بيروت في تلك الحقبة العثمانية، وتحديدا" منذ إعلانها مركزا" لولاية حملت إسمها عصراً ذهبياً على رغم التقلبات السياسية التي عصفت بها، وعرفت حركة عمران واسعة أدّت إلى رسم أهمّ أقسامها. في تلك الفترة، تمّ مد السكة الحديد بين بيروت ودمشق وتطوير مرفأ العاصمة اللبنانية ليكون المرفأ الرئيسي على شرق البحر المتوسط. انعكست هذه السياسة الاقتصادية على الأوضاع الاجتماعية والثقافية، وكان لها أبلغ الأثر في توسع المدينة وامتدادها. مع نموّ حركة توافد الزوار والحجاج الأوروبيين.

كما أنها اضحت خلال القرن التاسع عشر مركزا للتعليم والثقافة وأضحت من أكثر مدن المنطقة تطورا وحداثة .

ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بدأت الحداثة الغربية تتسرب إلى الشرق، وتحديدا عبر لبنان، من خلال قانون «التنظيمات » الذي أصدرته السلطنة العثمانية، بينما كان الغرب يسعى للحضور والسيطرة على المنطقة مستفيداً من ترهل الدولة العثمانية بعد مرور نحو أربعة قرون على إنشائها.

وبعد عقود طويلة من وفود الثقافة الغربية إلى الشرق عبر الإرساليات، والعلاقات التجارية مع تجار المنطقة، ومنتجيها، كان من السهل على السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦ - ١٩٠٩ م) أن يطبق ما بدأه في عاصمة السلطنة استانبول من تحديثات على مدن السلطنة التي شكلت مركز الولايات العثمانية، ومنها بيروت التي أبدى «سكانها، ومثقفوها، والقوى الفاعلة فيها، حماسة للتحديث، وفي ظل هذا المنحى للسلطنة العثمانية، اتجهت بيروت نحو بناء ذاتها على الطابع الحديث، طابع القرن العشرين،

وعلى أثر هزيمة الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، سلم الحاكم التركي إسماعيل حقي بك مقاليد الحكم إلى عمر الداعوق رئيس بلدية بيروت في 30 سبتمبر 1918، ثم وصلت برقية من الأمير سعيد الجزائري في دمشق يطلب فيها تشكيل إدارة عربية في بيروت، باسم الحكومة العربية التي تأسست في دمشق. وعلى هذا الأساس تشكلت حكومة عربية في بيروت في أول تشرين الأول، برئاسة عمر الداعوق ورُفع العلم العربي على المباني العامة،

وعلى الأثر شكّل عمر الداعوق حكومة عربية مؤقتة مع أعضاء مجلس بلدية بيروت، لتتولى أدارة الشؤون الضرورية، وقد شاركه في المسؤولية لفيف من وجهاء البلد مسلمين ومسيحيين دون تمييز. وتمّ أختيار أحمد مختار بيهم مديراً للأمن العام ويعاونه سليم الطيارة وجان فريج، كما تمّ أختيار حسن قرنفل ونسيم مطر مديرين للإعاشة، وشارك في مسؤولية الحكومة سليم علي سلام وألفرد سرسق ورامز سركيس، كما أحتفظ عمر الداعوق لنفسه بإدارة المؤسسات الخيرية يعاونه محمد فاخوري ويوسف عودة.

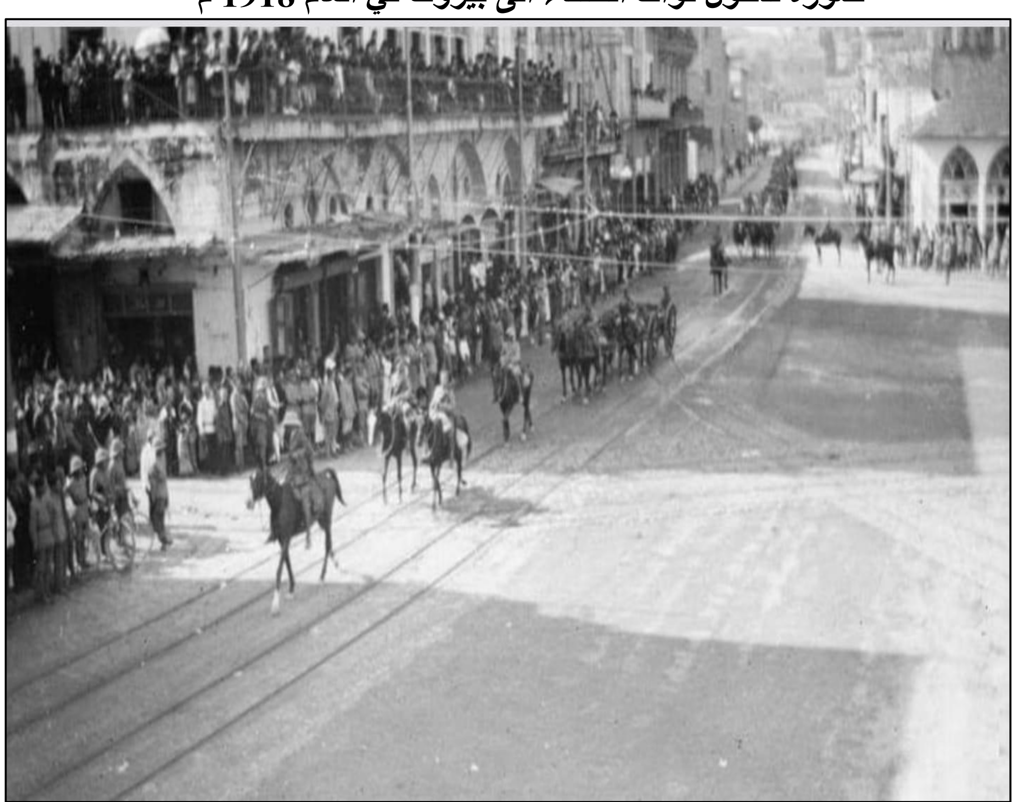
لكن الحكم العربي لم يدم في بيروت سوى أحد عشر يوماً، فما أن دخل الأمير فيصل دمشق حتى أرسل شكري باشا الأيوبي إلى بيروت، فوصلها في 6 تشرين الأول وأعلن دخول المدينة في ظل الحكم العربي ورفع العلم العربي على السراي ثم توجه إلى بعبدا، فرفع العلم العربي على السراي ودعا مجلس إدارة المتصرفية إلى الاجتماع، وكلف رئيس المجس حبيب باشا السعد بتولي الحكم في الجبل.

في 7 تشرين الأول دخل الحلفاء إلى لبنان، الإنكليز عبر الساحل من فلسطين باتجاه بيروت فوصلوها في 7 تشرين أول 1918 وأنزل الفرنسيون وحدات من الجيش الفرنسي في المدينة.

ما كاد الفرنسيون يدخلون بيروت حتى اعترضوا على الحكم العربي وأنزل دي بياباب العلم العربي، ورفع العلم الفرنسي وغادر شكري الأيوبي بيروت على أن يبقى جميل بك الألشي في بيروت بوصفه معتمداً عربياً لدى الفرنسيين.

وبذلك تكون قد إنتهت ولاية بيروت العثمانية، التي إستمرت حوالي ثلاثين عاما" حافلة بالأحداث السياسية والعسكرية والإقتصادية والثقافية والعمرانية، وأصبحت بيروت بعدها كمدينة عاصمة للدولة التي ستسمى فيما بعد بدولة لبنان الكبير.

صورة لدخول قوات الحلفاء الى بيروت في العام 1918 م



المصدر موقع Old Beirut.

كثيرة هي الكتب والمقالات التي تحدثت وتناولت مدينة بيروت، وعند إختياري للموضوع إعتقدت لوهلة أن ما كتب عنها، لن يخولني كتابة المزيد أو إضافة أكثر مما كتب،

ولكن وبتجرد وبعد مرور أشهر من المتابعة اليومية من كتب عربية وأجنبية، لا يسعني سوى القول أن مدينة بيروت تحوي في ذاكرتها وإرثها وتاريخها ما لم يستطع أي شخص أن يلم بكافة تفاصيله،

لذلك

كانت هذه الدراسة إستكمالا" لما بدء به مؤرخون، باحثون، وطالبي علم وغيرهم الكثير الكثير من تقديم دراسات وكتب عن بيروت المدينة ومراحل تطورها، ويحدوني الأمل أن تشكل هذه الدراسة أو بمعنى أدق أن تفتح مجالا"، لدراسات أكثر تعمقا" وتخصصا" في إستكشاف ما تحتويه هذه المدينة من أسرار.

وختاما": تبقى بيروت سيدة بين العواصم.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر العربية:

1. أحد أعضاء الجمعيات العربية السرية: ثورة العرب ضد الأتراك، تحقيق د عصام شبارو، دار مصباح الفكر، بيروت 1989.
2. الأنسي، عبد الباسط: دليل بيروت – تقويم الأقبال لسنة 1327 هـ-/1909 م، مطبعة جريدة الإقبال – بيروت 1326ه.
3. باشا، محمد علي: الرحلة الشامية 1910 م، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2002.
4. التميمي، رفيق ومحمد بهجت، ولاية بيروت 2، دار لحد خاطر، بيروت 1979عن طبعة الإقبال 1917 م.
5. التونسي، بيرم: صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، أوراق لبنانية، المجمع التونسي للعلوم والأداب والفنون الجميلة "بيت الحكمة"1870.
6. الحكيم، يوسف: بيروت ولبنان في عهد أل عثمان، المطبعة الكاثوليكية، بيروت 1964.
7. الخوري، شاكر: مجمع المسرات، مطبعة الإجتهاد، بيروت – 1908.
8. سامي، عبد الرحمن بك: القول الحق في رحلة بيروت ودمشق، دار الرائد العربي، بيروت 1981.
9. سلام، سليم علي: مذكرات سليم علي سلام (1868- 1983)، تحقيق حسان حلاق، الدار الجامعية – بيروت 1981.
10. شيخو، لويس: بيروت، تاريخها واثارها، دار المشرق، بيروت – المجلدان 23 و24 (1925-1926).
11. شيخو، لويس: منارة الساعة العربية في بيروت، المشرق ج 2 (1899).
12. القاياتي، محمد عبد الجواد: نفحة الشام في رحلة الشام، دار الرائد العربي، بيروت 1981.
13. كرد علي، محمد: خطط الشام 6 ج، مكتبة النويري، دمشق، طبعة ثالثة – 1983.
14. كريمسكي: رسائل من لبنان 1896-1898- بيروت وجبل لبنان على مشارف القرن العشرين، دار الهدى – بيروت 1985، تقديم مسعود ضاهر، دار الهدى – بيروت 1985.

ثانياً: المراجع العربية:

1. إبـراهيم، إميلـي فـارس: الحركـة النسـائية اللبنانيـة، دار الثقافـة، بيـروت –لبنـان 2. 2. أنطونيوس جورج: يقظة العرب، دار العلم للملايين، بيروت – لبنان، ج1، 1987.
2. بيهم، محمد جميل: منارة الشرق في حضارة الغرب، مطبعة قلفاظ، بيروت 1952.
3. جـريج، إليـاس: ولايـة بيـروت 1887 -1914 التـاريخ السياسـي والإقتصـادي، مطبعـة عكار، بيروت – لبنان (د.ت).
4. حجازي، فهد: لبنـان مـن دويـلات فينيقيـا الـى فدراليـة الطوائـف رهانـات فـوق جغرافيـا ملعونة، دار الفارابي، ج3، بيروت – لبنان، 2013.
5. حلاق، حسان: التاريخ الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في بيروت والولايات العثمانية في القرن التاسع عشر، سجلات المحكمة الشرعية في بيروت 1987.
6. حـلاق، حسـان: بيـروت المحروسـة – بيـروت الإنسـان والحضـارة والتـراث، مؤسسـة الحريري، بيروت 2002.
7. حلاق، حسان: بيروت المحروسة في العهد العثماني، الدار الجامعية، بيروت 1987.
8. الخالدي، عنبـرة سـلام: جولـة فـي الـذكريات بـين لبنـان وفلسـطين، دار النهـار، بيـروت 1978.
9. الخطيب، حنيفة: تاريخ تطور الحركة النسائية في لبنان (1800- 1975 م)، دار الحداثـة للطباعة والنشر، 1900.
10. الخوري، بشارة: حقائق لبنانية، مكتبة فلسطين للكتب المصورة، ج1.
11. الخياط، أسعد: صوت من لبنان (1811- 1847)، المطبعة الكاثوليكية، بيروت – لبنـان، 1957.
12. ربيز، كمال جرجي: رزق الله عهيـديك الأيـام يـا راس بيـروت، المطبوعـات المصـورة، بيروت 1886.
13. زعرور، حسين، بيروت التاريخ الاجتماعي 1864-1914، المركـز الإسـلامي للإعـلام والإنماء، بيروت- لبنان.
14. زيادة، خالد، المدينـة العربيـة والحداثـة، ط1، ريـاض الـريس للكتـب والنشـر، بيـروت – لبنان، 2019.
15. زين نور الدين زين: نشوء القومية العربية، دار النهار للنشر، بيروت – لبنان، 1986.

16.السباعي، بدر الدين: أضواء على الرأسمال الأجنبي في سورية (1850 – 1958)، دمشق (د.ت).
17.شبارو، عصام: تاريخ بيروت منذ أقدم العصور حتى القرن العشرين، دار مصباح الفكر – بيروت 1987.
18.شبارو، عصام: عين المريسة صفحة مشرقة من تاريخ بيروت ودور وطني قومي لا يموت – دار مصباح - بيروت 2000.
19.شهاب، موريس: دور لبنان في تاريخ الحرير، منشورات الجامعة اللبنانية –لبيروت 1968.
20.صليبي، كمال: بيت بمنازل كثيرة الكيان اللبناني بين التصور والواقع، نوفل، الطبعة السادسة: 2013.
21.ضاهر، مسعود: تاريخ لبنان الإجتماعي 1914 – 1926، دار الفارابي، ط3 منقحة، بيروت – لبنان، 2015.
22.طرابلسي، فواز: تاريخ لبنان الحديث من الإمارة الى إتفاق الطائف، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت – لبنان، ط5، 2018.
23.عيتاني، مختار وعبد اللطيف فاخوري: بيروتنا، دار الأثنين، بيروت 1995.
24.قدورة، أديب: حقائق ومواقف، دار مؤسسة فكر، بيروت 1989.
25.كوثراني، وجيه: بلاد الشام في مطلع القرن العشرين السكان والإقتصاد وفلسطين والمشروع الصهيوني في قراءة وثائق الدبلوماسية الفرنسية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط3، 2013
26.موسى، سليمان: الحركة العربية سيرة المرحلة الأولى للنهضة العربية الحديثة 01908-1924م)، دار النهار للنشر، بيروت- لبنان، 1986.
27.الولي، طه: بيروت في التاريخ والحضارة والعمران، دار العلم للملايين، ط1، بيروت 1978.

ثالثاً: الدوريات:

1- الإتحاد العثماني: العدد 665 تاريخ 24 تشرين الثاني 1910 م.
2- ثمرات الفنون لصاحبها الشيخ عبد القادر قباني، تأسست سنة 1875 م، محفوظة على بكرات ميكروفيلم في مكتبة باقث التذكارية في الجامعة الأميركية في بيروت: العدد 1060 تاريخ 18 كانون الأول 1895م.

رابعاً: المراجع المعربة:

1. ماكس فون أوبنهايم: من البحر المتوسط الى الخليج، ترجمة محمود كبيبو.
2. غيز، هنري: بيروت ولبنان منذ قرن ونصف القرن، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ج1.
3. روبنسون، إدوارد: يوميات في لبنان تـاريخ وجغرافيـا، منشـورات وزارة التربيـة والفنـون الجميلة، بيروت –لبنان، ج 1.

خامسا": المراجع الأجنبية:

1- Adel Ismail; documents diplomatiques et consulaires – beyrouth (1975- 1995).
2- Claude dubar , salim nasr ; les classes sociales au liban –paris 1976.
3- Edouard blondel; deux ans en syrie et en Palestine (1838- 1839)- paris 1840 >
4- Fouad debbas ; beyrouth notre memoire – paris 2 fevrier 1986 .
5- Louis Lartet ; la syrie d'aujourd'hui ; voyage dans la phenicie et le liban et la judee (1875-1880)-paris 1882 .
6- M.J bottu de limas ; six mois en orient –lyon 1861 .
7- Vital cuinet ; syrie –liban et palestine – paris 1967 .
8- Philippe Deschamps. A Travers l'Egypte, Le Nil, La Palestine, La Syrie, E. Leroux, Janvier 1896.
9- VERNE, Noel- DAMBAN, George, les paissance etrangers dans le levant..
10-
11- AE Guerre 1914- 1918, Turquie (Syric- Palestine), Vol 867,Lettre du consul de France à port- saïd, a M. le Ministre des Affaires Etrangères, le 9 Juin 1915.
12- Gaston Du Caussou: L'industrie de la soie en saie et au Liban, Janvier 1913.
13- C. Dubar, S. Nasr: Les classes sociales au Liban , paris : presses de la fondation nationale des sciences politiques 1976.
14- Laorty Hadji: La Syrie la Palestine et la Judée, Ed 1853, HACHETE Livre BNF, Février 2013.
15- Louis Lorite Voyages dans la phenicie ,le liban et la judee 1875-1880t: La Syrie d'aujourd'hui .

فهرست الصور والخرائط

فهرست المحتويات